غيبوبة

رواية

بعد 26 عاما تعود الحكاية

فريق متميزون
E-BOOK

محمد الناصر

الطبعة الرابعة
نوفا بلس للنشر والتوزيع
NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTING

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

غيبوبة

محمد الناصر

عن الكتاب..

داليا الحائره.. داليا المشتته.. داليا الحزينه، تقف بهذه الحكايا أمام الكثير من الالغاز التي يمكن أن تنتهي من كشف سر من أسرار تصرفات زوجها الغريبه، الذي خرج لها بشخصية مختلفه في يوم وليلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء

إلى كل قرائي الأعزاء, الذين أحبُّوا ما خطّه قلمي، ونسجه خيالي بتلك الإصدارات التي سبقت هذا الكتاب، فهم الأجدر بأن أهديهم هذه الحكاية الجديدة.

منذ أن أنشأت حسابي الخاص على موقع التواصل الاجتماعي «إنستغرام», ذلك الحساب الذي خصصته لسماع أغرب القصص التي مرت على الناس، والذي أطلقت عليه اسم «فضفضة غريبة»، وكل يوم تُرسل لي تلك الحكايات والحوادث, التي أكاد أجزم أنها تبدو مخيفة بعض الشيء، لكن هناك قصصا من غرابتها لا يكاد عقلي الباطن يستوعبها، وطبعا كما هي الحال، هناك قصص «مفبركة» يخترعها بعض المتابعين من أجل محاولة الظهور، أو لفت انتباه الأعضاء الباقين، ومن باب خبرتي أكتشف أنها غير حقيقية.

الناس يطلقون من خلال الحساب مسمى "الصديق" أو "الصديق العزيز".. أحببت هذا الاسم، لأنهم اختاروني كصديق لهم دون معرفتي.

نعود مرة أخرى لتلك القصص، التي دائما ما أخصص لها ساعات الليل الأخيرة من يومي لقراءتها، ومناقشة المتابعين في خباياها، رغم أن بعضهم يرفض المناقشة، وكل ما يريدونه هو نشر هذه القصة للمتابعين الآخرين فقط، ليعيشوا تلك الأحداث التي حدثت لهم طوال الفترة الماضية.

ومن بين تلك القصص، حكاية حدثت لإحدى متابعاتي، التي تعتبر من أغرب القصص التي قرأتها طوال الشهور الماضية، لأنها مختلفة عن باقي الحكايات، والتي أغلبها متشابهة، وتتركز على قصص الجن والعفاريت، إلا أن هذه الحكاية التي أطلقت عليها اسم "غيبوبة" تختلف اختلافا كليا عن سابقاتها، حيث أصرت صاحبتها على نشر قصتها للجميع، ليس من أجل الاطلاع عليها فقط، بل أكدت أن هناك أمورا في هذا العالم تكون شبه نائمة في أجسامنا، ونحن في غفلة عنها، وتظهر فجأة دون سابق إنذار، لترسم على وجهك الكثير من البلاهة والاندهاش.

والآن سأقوم بسرد هذه القصة، وفق طلب الأخت صاحبة الحكاية.

هل هناك من سبقوني وامتلكوا عقلي ؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

1

الكويت 2016

صديقي العزيز..

ما سأبوح به لن أستطيع قوله لأحد بشكل مباشر، كوني لا أراك أو تراني، أو ربما لن أتقابل معك بأي مكان يوما ما، سوى عبر هذه الطريقة التي اخترعتها من أجل التواصل بيننا، أبدو سخيفة بالنسبة لك، تصور ما شئت، وتأكد أنني أعاني من الضيق الذي يكاد ينفجر بصدري ممّا سأقوله، لأغرب حدث مرّ علي في حياتي كلها، وأيضا كان منعطفا مهماً، وربما تعلمت منه الكثير الكثير، حدثٌ شكّلته الأقدار بطريقة ما، لينصب بقالب قدري، مشكلا لي نوعا من الصدمة والغرابة التي ستقرؤها في السطور المقبلة.

أُدعى داليا.. اسم للوهلة الأولى يبدو لك أنه لا يرتبط بمجتمعنا الكويتي، ولا إقليمنا الخليجي، لكن له عروقا ممتدة إلى بلاد الشام من جانب أمي. فأنا لبنانية الجنسية، وقد استطعت الفوز بقلب أبي، وهو ما جعل قراراتي هي المسموعة والمنفَّذة من دون أي تردد، ويبدو أن الجمال الذي ورثته عن والدتي هو ما جعلني صاحبة الشخصية القوية والمسيطرة على كل شيء، طبعا ليس هذا موضوعنا الذي أريد أن أقوله، لكن لابد أن تعرف شيئا ولو قليلا عني.

عشت حياتي وسط صراعات بين مسمى "بنت اللبنانية"، وواقع أمي الذي يختلف بتاتا عن واقع حياة الأسر الكويتية، فتربيت بكنف والدتي، وتشربت كل عاداتها وصفاتها وتقاليدها ولهجتها حتى سن التاسعة من عمري.

هي الأقدار، لابد أن تضع في حياتنا تلك المنعطفات المرة التي نتجرعها بألم، دون اعتراض.. وبصمت.

توفيت والدتي بعد وصولي لتلك السن، فجأة استيقظت من نومي ذلك اليوم، لأرى أمي وهم يحملونها إلى سيارة الإسعاف، هذا كان آخر العهد معها، وآخر منظر انطبع في مخيّلتي لها، وأذكر يومها أنني بكيت كثيرا، لدرجة أنني لم أعد أفرّق بين كل الأحاسيس التي شعرت بها، فالدنيا لا قيمة لها، والحياة لن تكون متوازنة بفقدان الأم.

بعد فقد هذا الشيء الذي منحته الأقدار لك، لا أعلم ما هذا الأمر الذي سيهدم بداخلك عندما تفقد الأم، وما الفراغ الذي سيبقى إلى أبد الآبدين ولا تعرف كيف تملؤه، أو بالأحرى لا يوجد أي شخص في هذا العالم ليسد مكانها، عوامل الزمن والوقت والنسيان هي الأدوية المسكنة لذلك الشعور أو ذاك

الجرح الذي مع كل ذكرى مرتبطة بالأم من الممكن أن تشعر بألم فراقها ولوعة فقدانها، تبقى الأم هي القلب الثاني الذي ينبض بداخلنا.

مممم.. نسيت أخبرك، والدتي كانت الزوجة الثانية، ومن الطبيعي بعد وفاة أمي أن أعيش مع الزوجة الأولى، وأنت تعرف ما يفعلنه زوجات الأب مع الأبناء غير الأشقاء، لا أريد إخبارك بتلك الأشياء المكررة التي تحدث في الكثير مثل حالتي، لكنني سأحدثك باختصار عن أحد أعمالهن الشهيرة، حيث تتظاهر هي - وأقصد بذلك زوجة أبي - بالحب أمام والدي، وبمجرد غيابه، تنبت تلك الأظافر المدببة بيديها، وتظهر تلك الأنياب الحادة بوجهها، لتغرسها في جسدي، يكفي هذا المشهد لما قلته، لأنني تعودت على تلك التصرفات، وأصبح الآن نسيا منسيا، كنت مثل سندريللا، جميلة بيضاء متلألئة في البيت، عكس أخواتي الباقيات اللاتي يسعين للوصول إلى الجمال من خلال عمليات التجميل والماكياج، هناك نوع من المنافسة التي من الممكن القول عنها إنها غير متكافئة وربما تصل للتزييف.

بل إنهن يتعمدن إخفائي عند زيارة كل عريس للبيت، حتى لا أخطف الأضواء منهن، وعلى حسب تفكيرهم لو شاهدني أي منهم سيختارني دون أي تردد، أبدو مغرورة بالنسبة لك، أعرف ذلك، لكن لا أهتم لما ستفكر به، لأن ما أقوله هي الحقيقة.

ما علينا.. دعني أكمل، بالطبع ستفكر الآن في أنني من الممكن أن يغرم فيني أي شخص من خلال لقائي به عن طريق عملي أو دراستي مع الطلبة, سواء بالجامعة أو المدرسة أو حتى الجيران، وهذا ما يحدث بالفعل، لكن بمجرد أن تطأ قدميّ بيتنا، تبدأ الثعابين الموجودة في المنزل بنفث سمومها، وتشويه سمعتي، مرات يقولون إنني "راعية شباب"، ومرات تخرج تلك الشائعات على أنني مجنونة وأعاني من مرض نفسي، وسمعت هذا الأمر بأذنيّ عندما قال أحد المعجبين بي "الحلو ما يكمل".

أنت طبعا تعلم ما تقدمه الأقدار لك على طبق من ذهب، نعم.. حان موعد خروجي من هذا المنزل العفن، لأدخل منعطفا جديدا بحياتي، لكن هذه المرة سيكون مفروشا بالورد، عندما تقدم لي أحد الشباب، فيه كل الصفات التي تحلم بها أي فتاة، وسيم، غني، نوعا ما معروف بين الأوساط التجارية، وأقصد بذلك أن والده تاجر عقار كبير في البلاد.

أقدم من دون تردد على طلب يدي بعدما شاهدني صدفة، عندما كنت بآخر سنة في الجامعة، ورغم كل الشائعات التي أطلقها علي أخواتي وأمهن الغولة، إلا أنه لم يكترث أبدا الى تلك الأقاويل، بل طلب مني الجلوس معه شخصيا والتحدث، للتأكد من تلك الأقاويل التي يسمعها من الناس على

انفراد، هذه هي طريقة رجال الأعمال دائما، يفضلون رؤية الأشياء عن كثب وبشكل مباشر.

ومن دون علمهم، جلست معه بأحد المطاعم، وراح يتحدث معي، لا أعلم لماذا انفتحت أساريري له، ومن دون مقدمات رحت أبوح له بكل ما في قلبي، وعن المكر الخبيث الذي يحاك ضدي من أهلي، تقبّلني بكل رحابة, بل إنه بعد تلك المصارحة، كان أكثر إصرارا على التقدم لي، رغم العراقيل التي وضعتها زوجة أبي، ربما أنت الآن تسأل نفسك، أين دور أبي في هذا كله؟!

والدي شخص مسالم إلى أبعد حد، ودائما يبتعد عن المشاكل بشتى الطرق، ويريد دائما العيش في هدوء، يعلم جيدا أن هناك أشياءً تدور خلفه، لكنه يغض الطرف عنها أو أنه "يتغيشم», كما نقولها باللهجة العامية.

سألته مرة:

- بما أنك إنسان مسالم، كيف تزوجت أمينة، وأقصد بذلك زوجة أبي الأولى؟

رد عليّ بهدوئه المعتاد وبمبالاته الشهيرة:

- العادات والتقاليد يا بُنيتي تفرض عليك أشياء تكون مجبرا وقتها على القبول بها عندما لا يكون لك لا حول ولا قوة.

أذكر جيدا أنه أخذ تنهيدة كبيرة، شعرت وقتها بأن صدره كاد يلتصق بظهره.

وأكمل:

- جدك هو من فرض علي أمينة، بحكم عادة ابنة العم تكون لولد العم، وأذكر جيدا أنني لم أكمل وقتها عامي الثامن عشر، كنت شابا للتو أنتقي خبرات حياتي، رغم المعارضة الشديدة من جدتك, رحمها الله، لكن جدك كان إنسانا عنيدا، كان همّه الوحيد الظهور أمام أعمامي وكل من هو قريب من هذه العائلة، بأنه الفرد المطيع في هذه العائلة والمنفذ - من دون تفكير- لجميع تلك العادات والتقاليد التي عفى عليها الزمن، وطبعا الضحية هي بتقديمي قربانا لهذه العادات والتقاليد، وتم كل شيء بسرعة قياسية، ولم أدرك أنني أضعت نصف حياتي، وقتلت كل مشاعري مع «أمينة»، التي لم تفهمني أبدا ولم أفهمها، لا أريد أن أكون أنانيا كثيرا، ربما هي أيضا ظُلمت معي بهذه العادة، ولو كانت هناك فرصة متاحة لها لكان من الممكن أن تختار ما يناسبها من هذه الحياة، كما اخترت أنا عندما تمردت على تلك القوانين الغبية، بعدما شاهدت والدتك وقلبي تعلق بها، لأتزوجها رغم أنف الجميع.

المهم، سأكمل لك حكاياتي مع زوجي:

ما حدث ولفت نظري بتلك المقابلة تلك البقعة الحمراء الكبيرة التي تشكلت على وجه زوجي كأنها بقعة دم أو آثار حادث قديم، إلا أنها لم تخفِ وسامته، وطبعا فضول الفتيات يسبقهن دائما، فسألته عنها، وقال لي إنها "وحمة"، اختارت وجهه قبل ظهوره إلى هذه الحياة.

وبعدها بدأ يتحدث عن حياته التي كانت عادية جدا، كحياة أي شخص، لكن المميز فيها أنه هو الذي يدير أملاك والده العقارية.

سارت كل الأمور على أكمل وجه, بل لم يعكر صفوها أي شيء، رغم نظرات الحسد التي كنت أشاهدها من أخواتي وأمهن التي علّمتهن المكر.

لا تعلم ما هي درجات السعادة التي حدثت لي عندما وجدت نفسي، بمكان أملكه أنا وحدي دون أي منغصات أخرى، دون تلصص، دون حقد، دون خوف، زوجي كاد يطير بي من السعادة، فتاة كويتية تحمل جينات لبنانية، أعتقد أنها تركيبة نادرا ما تحدث، وهو مَن يفوز بها.

مرت الأيام سعيدة، وجميلة دون أي أمور تنغصها، ولا أخفي عليك أنني نسيت عائلتي تلك، حتى أنني لم أتواصل معها أبدا، لكنني كنت على اتصال بوالدي عبر الهاتف من وقت لآخر.

ربما كانت صفات زوجي نوعا ما تغضبني قليلا، بسبب حياته المنظمة كثيرا، واهتمامه بأعمال النظافة، فهو من النوع الذي يستحم في اليوم 3 مرات، يغضب كثيرا لو غيّرت نظام السرير أو شيئا في البيت، فهو يريد كل الأشياء وفق نظامه، وينفجر غضبا عندما يشاهد نقطة صغيرة من السواد على الأرضية، ينام مبكرا ويفيق مبكرا، شعرت لوهلة أنه أحد "الروبوتات" التي تعمل وفق برنامج إلكتروني مسبق، لم أهتم كثيرا لهذا الوضع، وهيأت نفسي كي أعتاد عليه وعلى حسب ما يريد هو، ففي المقابل هناك أشياء جميلة يفعلها لي، فأنا أعيش مع رجل "جنتل مان".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

تبدو الأمور حتى الآن جيدة يا صديقي، ولم يعكر صفوها أي شيء، حيث أعيش لحظات ذهبية من حياتي في هذا الوقت ومع هذا الرجل المنظم, إلى أن جاء المنعطف الجديد، المنعطف الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر، وكنت أعتقد أنه سيكون جميلا كسابقه.. أغرب المنعطفات بحياتي.

عندما عدت ذات يوم إلى بيتي، وفوجئت بجسم زوجي ممددا من دون ملابس على أرضية الحمام، والدماء تسيل من رأسه.

صرخت من هول المنظر، وضعت يديّ على وجهي، انطلقت نحوه مسرعة أحاول أن أعيده لوضعه الطبيعي، إلا أنني لم أستطع، كان كالجثة الهامدة، من دون شعور اتصلت على الطوارئ، حيث وصلوا للمكان بسرعة خارقة، ونقلوه بسرعة للمستشفى، وطبعا قمت بإخبار أهله بكل ما جرى، لأجدهم أغلبهم متواجدين بالمستشفى.

وراحوا يمطرونني بتلك الأسئلة الكثيرة، وأنا بعد كل خمس دقائق أشرح الوضع لأي شخص يصل منهم، وكيف وجدته على هذه الحالة، لم تتصور كم كنت أتمنى لو أنني أصرخ بوجوههم، كون أعصابي لا تتحمل أكثر من ذلك، لأنني قلقة على "صقر"، وأنا أترقب النتائج، ولماذا حصل لزوجي كل هذا، وبعد أكثر من 10 ساعات من الفحوص والانتظار الطويل، خرج إلينا الطبيب ليخبرنا بأن زوجي دخل في مرحلة غيبوبة، وكان التصور الأول للحادثة أن قدمه زلت بالحمام أثناء استحمامه، وكانت السقطة مباشرة على رأسه، ما جعله يفقد وعيه، ويدخل في غيبوبة.

رحت أتساءل متى ينتهي هذا الأمر، ويعود إلى طبيعته، لا إجابة وقتها كانت تريح قلبي، حتى إن إجابة أحد الأطباء كانت كالصاعقة على رأسي، عندما قال لي إن هناك الكثير من الحالات المشابهة لحالة زوجي دخلت في غيبوبة لأكثر من عشر سنوات، راحت دموعي تنهمر بغزارة، كنت أردد بداخلي، لماذا دائما هذه المنعطفات تأخذ مني الأشخاص الذين أحبهم وتحرمني منهم، أنا دائما هكذا، الأشياء الجميلة دائما أفقدها بسرعة، بسبب خوفي من ضياعها، يا لي من تعيسة الحظ!

رحت أتردد على زوجي بشكل يومي، أجلس معه طوال اليوم، أراقب أنفاسه فقط، فهو كالجثة الممددة على السرير، وحياته مرتبطة بتلك الأسلاك، والأطباء لا جديد لديهم، فقط يأتون كل يوم يوزعون تلك الابتسامات الكاذبة ويرحلون، وكانوا يؤكدون أن وضعه غير معروف، ومتى بالضبط سيفيق من غيبوبته، وأكدوا أن جميع أعضائه الداخلية سليمة ولا يعاني من أي شيء، ومن

الممكن أن يصحو في أي لحظة، وفي الوقت نفسه من الممكن أن تطول المدة.

آه.. ما هذا؟لماذا يحدث معي كل ذلك، كُتب علي التعب، لحظاتي السعيدة مسروقة، أعتقد أن زوجة أبي "أمينة" وأخواتي الآن يدقون الطبول فرحاً لما يحصل لي، ومن الممكن أن أفقد كل شيء في أي لحظة وأعود لهن مكبلة بأغلال الماضي.

أووووه.. يا لي من فتاة سوداوية، أرسم تلك القصص برأسي وأعتقد أنها حقيقية، لا.. لا.. صقر سيعود، سيعود كما كان وربما للأفضل، يبدو أن جلساتي الطويلة عنده وقلقي الذي فتك بكل أعصابي هما السبب وراء هذا كله، مرت أربعة شهور ولا يوجد أي تقدم بحالة زوجي.

عائلته الغنية هي الأخرى أيضا وصلت لمرحلة اليأس منه، فبعد كل الزيارات الكثيرة، أصبح العدد يتضاءل نسبيا حتى وصل الأمر بزيارة والديه وإخوته الذين أيضا صاروا يزورونه على فترات متباعدة، وأنا الوحيدة التي أصبحت لصيقة ذلك المستشفى، حتى أنني عشقت رائحة المطهرات واعتدت على اللون الأبيض الذي تتشح منه الممرضات والأطباء، وأعتقد لو أنهم أغمضوا عيني لذهبت بطريقة شرطية الى تلك الغرفة، التي لا أجد فيها سوى "صقر" الممدد، وتلك الوحمة التي تبرز في أعلى وجهه.

هل هناك منعطفات جديدة في حياتي؟ هذا سؤال سأجيب عنه في الأسطر المقبلة.

نعم، هناك منعطف جعلني أنفجر فرحا وغيضا في الوقت نفسه، كيف ذلك وما هذه المشاعر المتناقضة.

بينما أنا جالسة عنده في تلك الغرفة، التي يغلفها الهدوء من كل جانب، أطالع هاتفي ساعة وأغفو أخرى، حتى تيقظت في تلك الليلة على صوت "صقر" وهو يقول:

- ماء.. أريد ماء.. أنا عطشان جدا.

يا إلهي! لا أستطيع أن أصف لك يا صديقي ذلك الشعور الذي جعلني أقفز فرحا، الحياة تدب بجسم زوجي من جديد، صوته الذي شعرت لوهلة أنني سأفقده عاد ليطرب أذنيّ.

لا أعرف ماذا أفعل، وقتها رحت أنظر وأدقق عليه وعلى حركاته وصوته، وأركز عيني على شفتيه الذابلتين وهو يكرر كلمة "ماء".

وقفزت مهرولة إلى كوب الماء، وبسرعة قدمته له، أخذ رشفة ثم عاد وأغمض عينيه، في البداية خفت قليلا، لكن سرعان ما عاد مجددا يفتحهما وينظر لي دون أي مشاعر.

وبتلقائية، رحت أضغط على زر المنادات في المستشفى، كي تحضر الممرضة، وأخبرها بكل ما حدث مع زوجي، فهي الأخرى وقفت مذهولة، وابتسمت وانطلقت بسرعة دون أن تتكلم تريد تبليغ الطبيب بما حدث.

وما هي إلا ثوانٍ، حتى اكتظت الغرفة الهادئة بالعديد من البدل البيضاء، منهم من راح يتفحص جسم "صقر" وآخر يدون والممرضات تقمن بفحوص دورية معتادة، أصبحت هذه الغرفة كخلية نحل، يبدو أن حالة زوجي كانت هي الشغل الشاغل لهذا المستشفى القديم.

وطبعا من البديهي نقل هذا الخبر السعيد لعمي "والد صقر"، رحت أزف هذا الخبر، ودموع الفرح تنهمر بغزارة، وما هي إلا دقائق حتى دخلت العائلة الكريمة كلها الى الغرفة التي كادت تنفجر منهم.

وراحوا يبتسمون وهم ينظرون الى وضع زوجي، الذي لم يقل إلا كلمة واحدة منذ أن استرد وعيه.. هي ماء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

أنظر إلى الساعة، كانت تشير إلى العاشرة مساء، أراقب عيني زوجي خوفا من أن تغمضا مرة أخرى، ألتفت على المتواجدين معي بالغرفة، أريد منهم شيئا واحدا مشاركتي بفرحتي بعودته مرة أخرى.

أكبح جماح ذلك الجنون المرح الذي بداخلي، أنتظر منه كلمة جديدة حتى أتأكد من أنه بدأ يعود للحياة مجددا.

أشقاؤه وأقرباؤه راحوا يغادرون واحدا تلو الآخر بعد أن اطمأنوا عليه، ولم يتبق بالغرفة سوى عمي والد زوجي، وكلانا يترقب أي كلمة ينطق بها، وياليته ما نطق!

عندما قال تلك الجملة التي جعلت فاه مفتوحا لمدة طويلة، تتملكني الصدمة من كل جوانبي، وأريد تفسيرا واحدة لها.

مريم.. أين الأولاد؟

مَن مريم يا صقر، وعن أي أولاد تتحدث... أنا زوجتك داليا،

رحت أنظر إلى عمي أريد تفسيرا لما قاله صقر.

هو الآخر عاش معي الصدمة، وراح الدم في وجهه يتقلب بجميع درجاته، لم ينطق، يريد تدارك الموقف.

فيما صقر أغمض عينيه من جديد، بعد أن غاب عن الوعي مجددا، أو بمعنى آخر غفا.

- يبدو أن غيبوبته الطويلة لا تزال تؤثر فيه، واختلطت عنده الأسماء.

قالها عمي يريد أن يضع تبريرا غير منطقي لذلك الموقف.

بيني وبينك صدقت عمي مجاملة بابتسامة مزيفة، ومن داخلي أفور غضبا وغيظا من تلك الـ "مريم" التي ظهرت في حياتنا فجأة مع أولادها.

وبينما نحن نعيش ذلك الموقف، دخل الطبيب قاطعا فقرة الصدمة، يطالبنا بالمغادرة.

خرجت ولم أتفوه بكلمة واحدة، أعيش حالة ذهول، وأتساءل عن ذلك الاسم الذي نطقه، أرسم العديد من التصورات، أقلها خوفا هو أن زوجي لا يزال يعيش في حالة الهلوسة، وأكثرها رعبا هو أنه متزوج سراً، ومن تأثير الضربة أصبح لا يفرق بيني وبينها.

وبعد كل هذه الأفكار المرعبة، طرأ بذهني سؤال، أين مريم طوال فترة غيبوبته؟ ولماذا لم تظهر هي وأبناؤها؟ هل كانت تزوره متخفية؟ أم أنها لا تعيش في البلاد ؟!

كعادتي، أفكاري السوداوية هي التي تسيطر على عقلي البائس، لن تشعر بي يا صاحب القلب الوسيع، هذا الشعور لا تحس به إلا المرأة، وعلى ما أعتقد أنه شعور غير مهم بالنسبة لأي رجل، خاصة عندما تكون هناك مؤشرات على أن زوجها في قلبه امراة أخرى.

تلك الليلة لم أنم أبدا، أتقلب على فراشي، أصدقك القول.. تمنيت لو أنه لم يستفق من غيبوبته.

أنتظر ضوء النهار من جديد، أريد الذهاب للمستشفى، أود أن أعرف سر "مريم وأولادها".

وفور دخولي الغرفة، بكل حماس، أجد الممرضة تحاول إطعام زوجي، بعد أن أعطاها الطبيب المعالج الضوء الأخضر لذلك، وبكل هدوء، طلبت منها أن أقوم بهذا الأمر، وفور بدايتي كان صقر ينظر لي بتركيز عالٍ، كأنها المرة الأولى التي يراني فيها، وأنا من داخلي أتحفز لتلك الكلمة التي سينطق بها مجددا، هل مازلت مريم أم أنك عرفتني أنا داليا.

- داليا.. من الذي حصل، آخر شيء أذكره أنني خرجت من الحمام بعد استحمامي، لكن فجأة الزمن عندي توقف.

قالها بصوت متعب وببطء شديد، وهو ينظر لي بتلك النظرات المستفهمة.

هذه جملة زوجي الجديدة، شعرت كأن ماء باردا سكب على النار الذي أشعلها ليلة البارحة، إنه لا يزال يعرفني ونطق باسمي.

نظرت له بكل هدوء، مع أنني أريد أن أنفجر بوجهه، لأقتل ذلك الفضول الذي تشكل باسم "مريم".

وقلت له بعد أن وضعت الملعقة على الصحن: إنها حكاية طويلة، سأقولها لك بعد أن تستعيد عافيتك.

نعم أيها الصديق العزيز، تعاملت معه بطريقة أخرى، تركت فضولي، ورحت أحكي له القصة التي حدثت، والفترة التي قضاها في المستشفى، وأنه الآن بخير.

مضى اليوم بين نومه المتقطع، ونظراته الغريبة لكل من زاره، كأنه لا يعرفهم، ورحت أنا أذكره بأشقائه وأصدقائه، هذا فلان وهذي فلانة، وهو فقط

يبتسم، وحاولت مرارا أن أجعله يتكلم، لكنه كان يصمت كثيرا، لم ينطق سوى بتلك الجملتين:

مريم.. أين الاولاد؟

ودواليا.. ما الذي حصل معي؟

بعدها بيوم جلست مع الطبيب، وطلبت منه شرح حالة زوجي، الذي لا يتكلم كثيرا، ويكتفي بتلك النظرات المتسائلة.

شرح لي الطبيب حالة زوجي، حيث إن عقله للتو بالكامل بدأ يعمل من جديد، وهذا أمر في البداية طبيعي، كونه لا يزال يعيش في حالة الصدمة، أو بمعنى آخر الذكريات داخله مبعثرة، وعقله يقوم حاليا باستعادة الذكريات وترتيبها، والتعرف على الأشخاص مجددا.

قلت له أنه ذكر اسم فتاة غير معروفة، وسأل عن أولادها.

هنا حاول الطبيب أن يبرر ذلك الأمر بأن زوجك يعيش بحالة ارتباك بالذاكرة، كون الضربة كانت قوية على رأسه، ولا يركز كثيرا على الأسماء، انتظريه خلال أسبوع وسيعود بشكل طبيعي.

ثم حذرني، ألا أكثر الأسئلة عليه أو محاولة إرباكه بمعلومات ترين أنها طبيعية، لأنه يريد حاليا ترتيب الأفكار بذهنه، دعوه يعود بشكل تدريجي الى حياته حتى لو لم يتكلم طوال الفترة المقبلة، كل الأمور تحتاج الى بعض الوقت حتى يستعيد نشاطه العقلي من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

مرت 10 أيام على استفاقة زوجي من غيبوبته الطويلة، وطوال تلك الفترة لم يتحدث كثيرا، وكانت كلماته مجرد طلبات أو بعض الشكوى من إحساسه بدوخة بسيطة مكان الضربة، لكن نظراته وغرابة تصرفاته كانت حاضرة طوال تلك الفترة، الأمر الذي لاحظه جميع من زاره، حتى أنه لم يتعرف على أحد موظفيه المقربين الذي راح يشرح له حال الشركة في فترة غيابه.

إلا أنه كان مجرد مستمع فقط، يهز رأسه متظاهرا أنه فهم كل شيء، وعندما يعود ذلك الموظف في اليوم الثاني مجددا لا يعرفه، وكأنها المرة الأولى التي يراه فيها.

أحد أشقاء زوجي أراد تفسيرا هو الآخر لحالة صقر من الأطباء، الذين أكدوا أنه يمر بحالة طبيعية جدا، التي تعتبر فقدانا للذاكرة مؤقتا وسيتجاوزه مع مرور الزمن، وهو أمر شائع لمثل حالته، لأن العقل يمر بحالة ركود تام لفترة طويلة، وعند عودته إلى بيته ومزاولة حياته، سيصطدم بالواقع، ويعود مجددا لتشغيل ذاكرته، التي ستتأقلم بشكل مباشر مع واقعها من خلال التذكر بكل سهولة ومن دون أي معاناة.

من الممكن أن يكون كلام الأطباء مقنعا وواقعيا، إلا أن الأمور أخذت منحى آخر، عندما خرج صقر من المستشفى وعاد إلى بيته، كان الأمر فوق ما تتصور.

فمنذ اللحظة الأولى التي وصلنا بها إلى المنزل، وبالتحديد عندما ركنت سيارتي أمام بيتنا، نزلت منها، كان وقتها صقر يجلس بالمعقد الذي بجانبي ينظر للمنزل ببلاهة واستغراب، كأنه يرى البيت للمرة الأولى، هممت بفتح الباب له أطلب منه النزول، وقلت له بابتسامة:

- تفضل منزلك العزيز يشتاق إليك.

راح ينظر لي وللمنزل بغرابة ويقول وهو يهز رأسه:

- مفاجأة جميلة، متى اشتريتي هذا البيت الكبير، أنا كل ما أتذكره شقتنا التي نقطنها بمنطقة حولي، يبدو أن غيبوبتي كانت طويلة.

هنا ابتلعت ريقي، وشعرت بتوتر كبير، وقلت:

- نحن نسكن في هذا البيت منذ زواجنا بمنطقة مشرف، عن أي شقة تتكلم يا صقر؟!

صمت قليلا، وأنا أنظر له بترقب كبير وقلق يكاد يفتك برأسي وبداخلي أردد: هل تملك منزلا آخر غير بيتنا؟ هل أنت متزوج من أخرى؟

التفت لي وهو يمد رأسه ينظر للبيت ويعاينه بدقة كبيرة، متجاهلا سؤالي، ويردد:

- يبدو أنها مفاجأة جديدة من المفاجآت التي تحصل لي مؤخرا.

هنا حاولت تدارك الموقف، متذكرة كلام الأطباء عنه وعن حالة عدم الاستقرار الذهني الذي يمر به عقله، ومخيلته التي تمر بحالة عدم ترتيب للأحداث.

ابتسمت له ابتسامة خلفها قلق وتوتر شديدين، وقلت له:

نعم.. نعم، إنك لا تزال تحافظ على ذكائك وفطنتك، إنها مفاجأة جديدة كما ترى.

راح يسير بخطوات بطيئة وهو ينظر لي، فهمت من عينيه أنه لا يعرف في أي اتجاه يسير.

سرت أمامه بسرعة، وبداخلي أردد:

- المفاجأة هي ما تقوله وتفعله يا صقر!

دخلنا المنزل، راح ينظر له كأنه وافد جديد به، لف رأسه وهو يتمعن بكل أجزائه، من بداية غرفة الجلوس التي تظهر في بداية صالة المنزل، إلى الأسقف، الممرات والتحف.

الأغرب من هذا كله، هي المرآة الموضوعة بجانب الباب الخارجي، عندما التفت ناحيتها، لينظر الى وجهه، وهو يتحسسه، بعد أن صعقني بكلمة كادت ترميني بمقتل:

- هل سقطت على وجهي، وهذا أثر مكان السقطة؟

وهو يضع يده على مكان "وحمته"، التي قال لي في أول يوم التقيته إنها مولودة معه.

قاطعته بغيظ، بعدما جذبته من كتفه ناحيتي، وقلت له:

- إنها "الوحمة" التي ولدت معك.

التفت مرة أخرى ناحية المرآة، وهو يدقق النظر بها، حالها حال أي شيء في المنزل.

سبقته كعادتي، وأنا أكاد أنفجر من القهر الذي تملكني، أريد إجابات صريحة عن الذي يحدث، سائرة إلى غرفتنا.

وعندما دخلت، جلست على الكرسي أفور غضبا، وكعادتي أهز رجلي كدليل على التوتر.

مرت أكثر من 5 دقائق، هنا عدت مرة أخرى إلى الصالة، لأجده يقف مكانه، وطلبت منه أن يأتي لغرفته حتى يرتاح.

قال لي مرة أخرى كالعادة التي أتى بها من المستشفى:

- أين غرفتنا يا.. مريم!!

مريم.. مريم.. مريم، من هذه التي اقتحمت حياتي فجأة!

نظرت له ووجهي بملامح متجمدة وثائرة، أريد الانفجار في وجهه صارخة:

من هذه.. الـ "مريم"؟

هنا تذكرت كلام الأطباء مرة أخرى، أحاول التحكم بأعصابي التي تكاد تفلت بأي لحظة، فمسكته من يده وانطلقت به نحو الغرفة.

دخل كالعادة ينظر للحجرة بنظرات الغريب - الجديد على المكان.

وطلبت منه أن يغير ملابسه، حتى يدخل ويستحم ويرتاح على سريره.

هز رأسه موافقا.

بينما أنا ثيران عقلي تتناطح من الداخل تريد قتل ذلك الفضول.

مرّ اليوم الأول بتلك التصرفات، وأنا في كل مرة أحاول الكذب على نفسي وأقول إن صقر لا يزال متأثرا.

همٌ كبير جثم على صدري، وتفكيرٌ يفتك بذهني، لا إجابات واضحة عن كل التصرفات، وأتصبر فقط بما قاله الأطباء.

نهضت في الصباح من سريري، فوجئت بعدم وجود صقر بجانبي.

قلت لنفسي لعله عاد لطبيعته، أمر جيد أن يتعامل مع بيته من جديد.

المفاجأة الجديدة، عندما رأيته يجلس في الصالة وهو يرتدي "بجامته"، واضعا فوق رأسه الغترة بطريقة "الجريمبة"!

هذه المرة الأولى في حياتي أرى صقر بهذا المنظر، دققت النظر وأنا أفرك عيني.

أردد بداخلي:

- كيف يحدث ذلك، أين ذلك الصقر الذي أعرفه، الذي يحرص كل الحرص على أناقته، وترتيب هندامه، فهو يستحم في اليوم أكثر من 3 مرات، غير ذلك لا ينتظر أن ينمو الشعر على وجهه، كيف ذلك، أريد تفسيرا لما يحدث، رأسي يكاد ينفجر؟!

نظر لي بطريقة مفاجأة قائلا:

- عندما اشتريتِ هذا البيت لم تضعي في بالك أن هوايتي المفضلة هي تربية الحمام، صعدت للسطح ولم أجد أي «محكر» (بيت الحمام).

يا إلهي! ماذا يقول صقر، عن أي حمام يتكلم!

ومن ثم أخرج مسباحا من يده، وهو يتلاعب به بأصابعه بكل مهارة.

قلت له بذهول:

- صقر، لا أتذكر أنك كنت من هواة تربية الحمام، وأنا أنظر لذلك المسباح الذي يداعبه بأصابعه.

ابتسم وهو يهز يده الثانية مع ابتسامة ساخرة.

- منذ أن عرفتك وأنتِ تتمنين أن أترك هذه الهواية، أعتقد أن نظافة هذا البيت الجديد جعلتكِ تنسين أهم شيء في حياتي وهو الحمام، في شقتنا السابقة استأجرت مساحة من صاحب العمارة فوق السطح من أجل تربيته ألا تتذكرين.. يا مريم!

هنا جلست على الكنبة التي كانت بجانبي، وقدماي تهتزان من دون شعور، وصرخت بأعلى صوتي:

- يكفي يا صقر، لقد تعبت من تصرفاتك الجديدة، لا أكاد أحتمل.

هنا وقفت واقتربت منه كثيرا وأكملت صراخي:

- إذا كنت متزوجا من مريم اعترف، فأنا لا أحتمل أكثر من ذلك.

ابتسم مجددا، متخليا عن كل صفاته التي أعرفه بها منذ زواجنا، وهو يقول:

- يا غبية أنتِ مريم، عن أي زواج تتحدثين!

هنا رحت أضرب وأركل كل شيء بجانبي، وأردد بغضب:

- لست مريم.. لست مريم، أنا داليا.

وبعدها دفعته بكل قوة ليتعثر بالطاولة الصغيرة ويسقط ناحية الكرسي ويغمى عليه مجددا، بينما راح ذلك المسباح بالتناثر على أرضية الصالة.

رحت أبكي بكل حرقة، وأنظر له وهو في حالته تلك.

جلست على الأرض أحاول إفاقته.

وضعت رأسه بحضني ورحت أضرب على خده بهدوء وأناديه باسمه.

هنا بدأ يستعيد وعيه، وينظر لي بعينين شبه مغمضتين.

وقف بكل صعوبة، وضعت جسمه الثقيل، الذي يفوقني بالطول كثيرا، ورحت أجره ناحية غرفتنا.

وبعد جهد جهيد وصلنا للغرفة، راح ينظر لي بهدوء ويردد بصوت متعب:

- داليا أريد ماء.. ماء.

هنا شعرت بسعادة وهو للمرة الأولى ينطق باسمي, بعد كومة من المفاجآت التي عاد بها من غيبوبته، والتحديد بعد عودته إلى البيت.

مرت الساعات ثقيلة حزينة، لا أعرف ماذا أفعل مع هذه الشخصية الجديدة، كعادتي متطيرة، أفكر من المستحيل أن أبقى سنة واحدة دون حزن وضيق وقلق، هذه الأمور اعتادت علي واعتدت عليها.

لحظة في كل مرة أفكر هذا التفكير البائس لابد من إيجاد إجابات صريحة.

أبلغت عمي «والد زوجي» بكل ما حدث, الذي جاء سريعا للمنزل، حكيت له كل ما حدث، وطلبت منه أن يجد حلا، لأن الأمر متعب بالنسبة لي.

قاطعني.. وهو يعرف أكبر مخاوفي قائلا:

- صدقيني يا داليا، صقر ليس لديه أي زوجة غيرك.

نظرت له بحسرة، أتمنى تصديق ما يقوله، وهاجس الزوجة الثانية يدق أبواقه برأسي، وكل المؤشرات تؤكد أن لديه امرأة أخرى.

وحديث عمي وهدوؤه يؤكدان غير ذلك، لا أعلم مَن أصدق، الأمر يفوق كل التوقعات.

- داليا.. ما أريده منك أن كل ما يحدث يبقى داخل أسوار البيت ولا يخرج منه.

قالها عمي وهو يخفت صوته.

أعلم جيدا أن مكانتهم المرموقة في المجتمع، واسم عائلتهم وشركاتهم ستهتز لو علموا أن صقر يعاني من أمر عقلي مثل ذلك وأغلب المستثمرين

سيفقدون الثقة.

- أعدك إذا استمر الوضع على ذلك، سأسعى لإيجاد حل سريع، كل ما تحتاجين اليه هو الصبر والتحمل، لا أريد الموضوع يصل إلى الأطباء مرة أخرى.

قالها عمي وهو يربت على كتفي بيده.

وافقته الرأي، وبداخلي ألف شيطان وشيطان يوسوسون برأسي، عن تلك الـ "مريم" وأولادها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5

البيت يتزين بالعديد من مصابيح الإضاءة الملونة، وصوت الموسيقى الصادح هو ما يخرج منه، أجد نفسي داخل سيارتي وأنظر لمنزلنا وهو بهذا الشكل، كل المؤشرات تؤكد أن في بيتنا حفلة زفاف، نزلت من سيارتي وأنا أسير بخطوات ثقيلة ناحية الباب الرئيسي، دخلت وقدميّ يكادان يطيران بي وأنا أهزهما من التوتر الذي تملكني.

وعندما فتحت الباب الذي يؤدي إلى غرفة المعيشة، فوجئت بأنه مملوء عن آخره بالبشر، وفي الغرفة الأخيرة يجلس صقر وبجانبه فتاة فائقة الجمال، يبتسمان وهما في أزهى حلتهما، والناس حولهما يتراقصون بكل خفة، شعرت بغصة ملأت قلبي عن آخره كأنه يغرق، ومرارتها وصلت الى حنجرتي، التفت ناحية المرآة المعلقة على الباب، لأرى «وحمة» صقر موجودة على جبهتي، مددت يدي عليها أتحسسها، وأنا أتساءل: كيف ذلك.. كيف التصقت هذه «الوحمة» بجبهتي؟!

أحسست بيد وضِعت على كتفي، نظرت لأجد صقر ينظر لي بابتسامة صفراء وبجانبه تلك الجميلة، وخلفهما ولدان في غاية الجمال، قال لي بعد أن أخرج كيسا صغيرا من جيبه:

- لا تخافين، لن نسكن في هذا القصر، سأعود مجددا إلى شقة حولي، بتلك الغرفة التي تقطن بالدور الأرضي، لا تحاولي اللحاق بي، ومن ثم أخرج من الكيس منديلا صغيرا من الخام ليغطي به نصف وجهه.

التفت ناحية الفتاة التي تغيرت ملامحها، بعدما أصبح ماكياجها يسيح على وجهها من كل جانب، والعديد من طبقات الطين بلونه البني قد التفت بفستانها الأبيض.

اقتربت مني وهي تقول:

- الآن سيعود كل شيء إلى مكانه الطبيعي يا داليا، صقر يعود من جديد، حكايتي ستعود معه، لا تنسي احكيها لهم.

بعدها انتبهت لصقر خلفها يقوم بالحفر، بينما كانت تلك المرأة ذات الثوب الأبيض تنظر للحفرة مع الولدين داخلها، وبعدها قفزوا بداخلها.

لم أشعر إلا وصقر يضع يده على رقبتي ويضغط بقوة، ويده الأخرى تمسك على ما أعتقد بسلاح ناري.

صرخت بأعلى صوتي، أفقت وأنا أنظر لسقف بيتنا، شهقت ثم تنهدت تنهيدة طويلة.

- يا إلهي، ياله من حلم مرعب، كان قلبي يدق بقوة، وضعت يدي على رأسي، وأنا أردد إذا استمر الوضع على ما هو عليه من المحتمل أن أجن، هذه الـ"مريم" أصبحت تزورني حتى في منامي.

علما بأنه مر أسبوع كامل وصقر يمارس حياته بشكل طبيعي رغم قلة حديثه معنا، لكنه يردد اسمي دائما، لم يعد يذكر اسم "مريم".

وبينما أنا كذلك، حتى شعرت بدخول صقر للغرفة، وهو يقول لي:

- مال وجهك مفزوع بهذه الصورة؟

- كابوس مرعب جعلني أفيق من نومي.

قلتها وأنا أحاول النهوض من السرير.

نظر وتعلو وجهه ابتسامة جميلة، وقال:

ما رأيك بالخروج للغداء اليوم بأحد المطاعم؟

هنا تغيرت ملامح وجهي التي كانت قبل قليل مرعوبة.

- هل أنت جاد، تود الخروج من المنزل اليوم؟!

هز رأسه بالموافقة، وهو يقول:

- أشعر بالملل، وأريد تغيير جو البيت الرتيب.

طرت من الفرح وهو يطلب مني هذا الطلب، وأكاد أجزم أن صقر عاد لحياته الطبيعية، يبدو أن كلام الأطباء صحيح، كل ما يحتاج اليه هو الوقت حتى يستعيد ذكرياته، وعقله يعمل بشكل سليم.

- هل لك أن تنتظر ساعة حتى أجهز نفسي للخروج؟

قلتها وأنا أسحب "الفوطة" من دولاب الملابس.

نظر لساعته التي بيده هو يقول:

- لك ذلك، أتمنى ألا تتأخري كثيرا.

لم تتصور ذلك السرور الذي اجتاح قلبي، تخيلت نفسي فرخ طائر صغير يئس من عودة أمه للعش، لكنه فوجئ وهي تلوح بالأفق وتعود حاملة معها الأخبار السعيدة مجددا.

الأمور تطورت كثيرا، وبالتحديد قبل خروجنا، وذلك عندما طلب مني قيادة السيارة، وهذه المرة الأولى التي يقود بها بعد خروجه من المستشفى، لا أخفي عليك كنت قلقة من طلبه، وبداخلي أقول لا ضير من التجربة، فمن الممكن هذه الأمور ستساعده كثيرا على استعادة حياته الطبيعية.

بالفعل، انطلق بنا إلى أحد المطاعم التي تطل على شارع الخليج، رغم أن المطعم قديم نسبيا، وليس من قائمة المطاعم التي تعجبه، لكنه بالنسبة لي كان جيدا، الشيء المفرح أن صقر ذهب من تلقاء نفسه من دون أي تدخل مني.

قضيت ساعات جميلة مع زوجي، تخيلت نفسي عروسا جديدة، كان يتحدث بشغف وفرح، لكن الذي لاحظته أمرا واحد، قائمة الوجبات التي طلبها من القائمة، مثل "مجبوس اللحم" والأدهى من ذلك أنه أكل بيده، أنا أعرف صقر دقيق بمثل هذه الأمور بالتحديد في المطاعم، حتى أنه يطلب من الجرسون غسل الملعقة والشوكة قبل الأكل، وهذه المرة تغير كثيرا وهو يأكل بيديه من دون أي احتياطات.

لا أخفي عليك، فضلت عدم التركيز كثيرا، أنا أعيش لحظات سعادة لا توصف، هل جربت عودة روحك الى جسدك، هذا ما أشعر به في تلك اللحظات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6

يمكنك أن تهرب من الحزن، لكن تأكد أنه سيجدك طالما يبحث عنك، هذا ما حصل بطريق عودتنا أنا وصقر للمنزل، بعد وجبة الغداء، وتلك النزهة الحميمة التي افتقدتها منذ أكثر من خمس شهور، كنا نتحدث بأمور كدت أنا نفسي قد نسيتها، ضحك وابتسامات ومزاح وغيرها من الأمور التي تحدث بين أي زوجين، ربما أنهما سعيدان، شعرت لوهلة أنني عروس جديدة تكتشف صفات زوجها.

أعلم جيدا أنني أطيل عليك بتلك المشاعر التي ربما أنت نفسك لا تود معرفتها، مخنوقة صدقني مخنوقة، أنا كالبصيرة التي أصيبت بعمى مؤقت، واليوم نظرها إليها يعود، دعنا من هذا كله واسمع ما جرى بطريق العودة.

وبينما كنت أطالع هاتفي المحمول، وبعد إعطائي الثقة الكاملة لصقر، لم أنتبه بأي طريق كان يسير، زحمة الشوارع التي بسببها تفقد الصبر "لا لا لحظة إنك تتعلم الصبر منها"، لم أشعر به وهو يدخل منطقة غير منطقتنا، حتى أنني لم أركز في تلك الشوارع التي كان يسير بها، بسبب انشغالي بهاتفي، لا أعلم أين نحن بالضبط، كل ما أراه أن صقر يركن السيارة أمام مكان لا أعرفه!

كانت عمارة تبدو قديمة بعض الشيء، في البداية ظننته يريد شراء شيء من البقالة التي كانت موجودة بجانب العمارة، نظرت له بعدما فهمت من حركته إيقاف السيارة، وسحبه لمفاتيحها أنه يريد النزول منها، بقيت جالسة مكاني أتابعه وهو يسير، الأحداث تزداد غرابة، إنه يتجه ناحية العمارة بعد اجتيازه للبقالة!

أتساءل: ماذا يريد هذا الرجل، ولأين يذهب ؟!

وعند توغله داخل تلك العمارة، توقف واستدار وقام بتحريك يديه بإشارة ناحيتي.. هيا انزلي.

لم أفهم ماذا يقصد، والى أي مكان يريد أن يأخذني.

ترجلت من السيارة ووضعت يدي على بابها وكلمته بصوت مرتفع بسبب بعده عني:

- لماذا نحن هنا.. والى أين أنت ذاهب؟

لم يهتم، بل راح يتقدم بكل ثقة كأنه يعرف المكان بشكل جيد، ويعرف إلى أين يسير.

أنا حتى هذه اللحظة أراه بشكل جيد، يبدو أنه توقف عند أحد الأبواب، يقف ويمد يده بجيبه، كأنه يريد إخراج شيء.

أغلقت باب السيارة، الموقف شدني كثيرا، تقدمت بخطوات بطيئة مترقبة ما يحدث.

صقر الآن يضع المفتاح كما يبدو لي من بعيد في الباب الذي يقف بجانبه، بدأت دقات قلبي تتزايد، هذا المكان أراه للمرة الأولى بحياتي، هل هناك مفاجأة يخبئها لي.

اقتربت منه كثيرا، لم يستطع فتح الباب كما يبدو لي، التفت ناحيتي، وهو يقول بصوت مرتفع:

- لماذا تسيرين ببطء، بسرعة أعطيني المفاتيح التي لديك، يبدو أن مفاتيحي لا تعمل.

حتى هذه اللحظة لم أتحدث، كنت أسير بهدوء، عندما وصلت نظرت له والعديد من التساؤلات تدور برأسي.

- مالك تنظرين لي هكذا، بسرعة أخرجي المفتاح.

قالها وهو يتأفف، ويمد يده ناحية حقيبتي، يحاول أخذها مني.

قاطعته بحزم بعد أن أدركت أن هناك ثمة شيئا خاطئا:

- صقر عن أي مفاتيح تتكلم، أنا لا أعرف هذا المكان؟!

كنت أنظر لذلك الباب الذي كان واضحا أنه قديم جدا، حتى أنه من هيئته لم يفتح منذ زمن بعيد، بسبب الغبار العالق فيه من كل مكان، غير بعض الكلمات التي كتبت بطريقة غير منظمة بجميع أجزائه، كإشارة على أن هذا الباب مهمل جدا، وليس له صاحب، أعتقد أنه باب شقة أرضية، بسبب مكان النافذة التي بجانبه، لكن الأمر الغريب، أن النافذة كانت مغلقة ببعض الحواجز الأسمنتية بمكان فتحتها بطريقة غير منظمة، هذا ما يبدو أمامي حاليا.

هز رأسه بقليل من العصبية، وهو يقول:

- أرجوك لا وقت للمزاح الآن.

انفجرت من الغضب بوجهه صارخة:

- صقر يبدو أنك عدت مرة أخرى لتصرفاتك الغريبة.

نظر لي غير مكترث بما أقوله، وراح ينظر للساعة التي بيده هو يقول:

- لم يتبقَ على مباراة القادسية سوى ربع ساعة وأنتِ تحاولين إغاظتي بهذه التصرفات.

هنا وضعت يدي على رأسي، وأنا أردد بذهول:

- منذ متى وأنت تهتم بمشاهدة المباريات، منذ عرفتك هذه الأمور لا تبالي لها!

وبينما نحن نتجادل، خرج رجل من غرفة قريبة منا، على ما أعتقد أنه حارس العمارة من هيئته، وقف ينظر لنا باستغراب على حالنا.

التفت على زوجي أريد أن أنبهه أن موقفنا أصبح غير لائق، هنا قام صقر بمد يده على مقبض الباب يريد فتحه بالقوة.

هذا الأمر أثار حفيظة ذلك الرجل، الذي يبدو أنه من جنسية عربية، بعد أن انطلق ناحيتنا وهو يركض صارخا:

- ماذا تفعلان، لماذا تريدان فتح باب هذه الشقة، من أنتم؟

كانت كلماته مرتبكة، فور وصوله سحب يد زوجي عن على مقبض الباب، وقام بدفعه بعيدا، وهو يقول:

- بأي حق تريدان دخول هذه الشقة، إنها ممتلكات خاصة.

نظر صقر وهو يحاول التماسك بعد تلك الدفعة، قائلا:

- من أنت، وبأي حق تدفعني بهذا الشكل؟

رد عليه الرجل بحزم شديد:

- أنا الحارس، والمسؤول عن هذه العمارة.

قال زوجي ببعض من السخرية للحارس:

- أنا أعرف حارس هذا العمارة، وهذه المرة الأولى التي أراك فيها.

ثم راح زوجي ينادي:

-عم عويس.. عم عويس.

نظرت إلى الحارس الذي بانت على وجهه معالم الصدمة، لكنه تدارك الموقف بعد صمته الذي دام لثوان قليلة، ثم قال:

- العم عويس لم يعد يعمل هنا، يبدو أن معلوماتك قد توقف بها الزمن منذ 15 سنة.

وقف الحارس وهو يعطي ظهره لذلك الباب المهمل، كأنه يحاول منعنا من الاقتراب، وقال بطريقة تغيرت عن الحدة في التعامل التي بدأ بها:

- أتمنى من حضراتكم المغادرة، أنا رجل لا أحب المشاكل.

هنا تدخلت بسرعة كبيرة وقلت لصقر بشدة:

- يكفي فضائح، هيا بنا نعود الى المنزل.

نظر لي زوجي وكأنه يستغرب كلماتي قائلا:

- مريم نحن نعيش في هذه الشقة عن أي منزل تتكلمين، هذا الرجل لا أعرفه.

هنا تأكدت أن الحزن الذي كان يبحث عني قد وجدني، بعد عودة أسطوانة مريم من جديد.

يا إلهي! ماذا أفعل, يبدو أنه يعيش بشخصية مزدوجة، أو أنه نسى اسمي.

كانت حالة الذهول التي انتابتني هي الأخرى قد وجدتها مرسومة على وجه الحارس.

قمت بعدها بسحب زوجي بكل قوة ناحية السيارة، أريد أن أتخلص من هذا الموقف المحرج، بأي طريقة ما، وبعد جهد كبير أقنعته بالعودة للسيارة.

هذه المرة أدخلته عنوة للمقعد الذي بجانبي، ورحت أقود السيارة، واكتشفت أننا كنا في منطقة حولي، لا أعلم كيف وصل زوجي لهذا المكان.

وقتها وأنا أقود السيارة بكيت بحرقة، وصمت طوال طريق عودتنا، بينما كان صقر صامتا لا يتحدث أبدا بأي شيء، ينظر ناحية نافذة الباب بكل سكينة، عكس تلك الشخصية التي ظهر بها عند العمارة، حتى أنه لم يسألني عن سبب تلك الدموع، وعند وصولنا اكتشفت أنه قد فقد وعيه، أيقظته، وفهمت الآن أن زوجي يمر بحالة من الارتباك الذهني.

هدنة الفرح التي قضيتها قد انتهت، ويبدو أنني مقبلة على أيام أكثر غرابة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7

- لم أعد أحتمل أكثر من ذلك يا عمي.

أقولها باكية لوالد زوجي، بعدما أبلغته بكل ما حصل، فور حضوره ليتدارك الموقف من جديد.

عمي بقى شاردا لا يدري ماذا يفعل، لأنه ما بين خوفه من انتشار خبر تصرفاته بين الناس وبالتحديد العملاء، وحالته الصحية التي تتدهور.

- انتي متأكدة إنه قال لك يريد متابعة مباراة القادسية.

عمي هنا يريد التأكد من أن زوجي قد قام بهذا الطلب، لأنه يعرف أن ولده لا يهتم بالمباريات أبدا، وهو يستغرب كل تلك الأحداث.

بالأخير، اتفقنا على أخذه إلى المستشفى لإعادة تأهيله.

قضيت يومي كله وأنا أبكي في المستشفى، بعد سلسلة من الفحوص الكثيرة التي أجراها الأطباء عليه، وكلهم أكدوا أن زوجي لا يعاني من شيء، بينما صقر ظل صامتا طوال الوقت ولم يتكلم بأي شيء، مرّ يومان على هذا من دون أي تقدم.

في اليوم الثالث، وعندما كنت أنتظر خارج غرفة زوجي، وقفت بجانبي إحدى الممرضات التي كانت أيضا تتابع حالته، وأعطتني رقم هاتف أحد الأطباء النفسيين، وأكدت لي أنه ماهر جدا في عمله، ومن الممكن أن يجد تفسيرا واضحا لكل تلك التصرفات.

علي طلال.. أخصائي علم نفس، كما هو مدون على البطاقة التي أعطتني إياها الممرضة.

في هذه الأثناء, وصل عمي بعد خروجه من غرفة الطبيب، وأبلغني بأنه يريد أن يخرج صقر من المستشفى، لأنه كما يبدو وجوده هنا لن يقدم أو يؤخر في حالته، كون الأطباء ليس لديهم أي تفسير لما يحدث.

بالفعل تم إخراجه، وطلب مني عمي التعامل معه بحذر وعدم الإفراط في ردة الفعل، وأيضا إبلاغه بكل ما يحدث بالتفصيل، لأنه دائما ما يردد: لا أريد فضائح.

غريب أمر التجار هؤلاء، يعتقدون أن البشر لا يملكون أي قلوب أو مشاعر، أهم شيء لديهم سمعتهم بين منافسيهم أو عملائهم.

ما باليد حيلة، لابد من الانصياع لأوامر والد زوجي، وعليّ تحمل تبعات كل شيء، قلت لك سابقا إن الحزن قد وجدني ويبدو عليه أنه لن يتركني هذه المرة.

يا صديقي.. بعد يومين من خروجه من المستشفى، كان هناك حدث مفصلي آخر، قلب الأحداث كلها رأسا على عقب، بعد أن استيقظت من نومي، وطبعا كما تعلم جيدا الآن أنا أتعامل مع زوجي كطفل صغير، وهو أول اهتماماتي، رحت أبحث عنه في المنزل على أمل أن أجده في صالة البيت، لم أعثر عليه أبدا، بحثت بكل ركن في المنزل لا وجود له.

أين ذهب هذا الأحمق؟

كنت أقولها بكل توتر، من غير المعقول أن يكون قد خرج،

فحالته الصحية لا تساعده على ذلك، فهو بنصف ذاكرة كما أعرف.

لحظة.. وكما توقعت، مفاتيح السيارة غير موجودة!

لا.. لا.. لا.. تقول لي إنك الآن خرجت بها، إنها كارثة لو كانت كل توقعاتي صحيحة.

هنا رن هاتفي المحمول، المصيبة أن الجانب الثاني من المكالمة أحد أفراد الشرطة أبلغني بأن عليّ الحضور إلى مبنى الشرطة في منطقة النقرة بأقصى سرعة.

هنا لابد من الاتصال بوالد زوجي، فأنا لم أعد قادرة على تحمل أي شيء آخر بعد.

وعند وصولنا هناك فوجئنا بوجود صقر في قسم الشرطة جالسا بغرفة الضابط، وبجانبه ذلك الرجل من إحدى الجنسيات العربية الذي رأيناه بالعمارة قبل أسبوع تقريبا، حيث أبلغنا ضابط الشرطة أن زوجي قام بضربه، ذلك الرجل الذي عرفت بعد ذلك أن اسمه "عرفة"، بعدما وجد زوجي جالسا بإحدى الشقق الكائنة بالطابق الأرضي وهو يبكي.

نظرت وقتها إلى صقر، لكنه كان جامدا ومن دون أي ملامح.

أكد الضابط أن العم عرفة، حاول إخراج صقر من الشقة، لكن صقر رفض بحجة أن هذه الشقة هي شقته، وأنه يعيش بهذا المكان مع زوجته وأولاده، ليقوم بعدها صقر بضرب حارس العمارة، وهو ما جعله يستنجد بنا.

وبعد التحقيق مع المدعو صقر، كما عرفنا منه، لأنه لا يحمل أي أوراق ثبوتية، وبعد فحص السيارة اكتشفنا وجود حقيبة نسائية بالسيارة التي كان يقودها،

وبعد الفحص وجدنا محفظتك وهاتفك النقال.

نأسف سيدتي على أننا فتشنا بمحتويات جهازك، لأن المدعو صقر مُصرّ على أنه يعيش بهذه العمارة، والحارس يؤكد أن هذه الشقة مهجورة، منذ أكثر من عشرين سنة ولا يسكنها أحد.

وبعد التحقيق مع صقر، فهمنا منه أنه لا يعرف أين ذهبت زوجته.

هناك راح الضابط ينظر لي، وأكمل:

- على ما أعتقد أن اسمك بدرية، أو زوجته مريم كما قال لنا، هنا نظرت لوجه والد زوجي!

قلت له بتردد:

- لا لست أحد هذه الأسماء التي ذكرتها، أنا زوجته داليا.

قاطعنا الضابط مجددا، هل هو متزوج من أخرى؟

هنا قاطعنا عمي، وطلب من الضابط إيقاف التحقيق، نظرا لحساسية وخصوصية الموقف.

تفهم الضابط الوضع، وأخرج الحارس من الغرفة، وبقينا نحن الثلاثة، وبعدها عمي شرح كل شيء.

كنت جالسة بجانب صقر، مددت يدي ناحية يده، أريد الاطمئنان عليه، وبحركة انفعالية سحب يده من يدي وهو يقول بخوف:

- مَن أنتي، وبأي حق تمسكين يدي!!

انتبه الضابط لهذا الحديث.

- لا تعرف هذه المرأة يا صقر؟

قالها الضابط بشك.

رد صقر بحزم:

- لا.

إنها زوجتك!

راح صقر ينظر لي بغرابة، وقال:

- زوجتي الوحيدة هي مريم، هذه المرأة لا أعرفها، وأول مرة أراها بحياتي.

عم الصمت مجددا الغرفة، وراح الضابط ينظر لنا بكل شك،

هنا تدارك والد زوجي الموقف مجددا، وأخرج البطاقة الشخصية له وعدد من الأوراق الثبوتية التي تؤكد أن صقر ابنه وهذه زوجته، ولم ينه الضابط الموضوع إلا بعد تأكده من كل الأوراق، وتفهمه الوضع الصحي، وبعد محاولات عديدة مع العم عرفة استطاع عمي إقناعه بالتنازل بسبب حالة صقر الصحية.

لا أريد إعادة اسطوانة البكاء، لأن الأحداث المقبلة أغلبها بكاء وغموض لا نظير لهما.

كما تعرف، عمي رفض إرسال صقر للمستشفى وطلب مني بعضا من الوقت لإيجاد حل مناسب، حتى لو استدعى الأمر علاجه بالخارج.

العجز دائما يشعرك بأنك شبه إنسان، لا تملك أيا من الحلول لما يحدث.

بعد يوم من حادثة مخفر الشرطة، وبينما كنت أرتب حقيبتي التي عبثت بها أنامل الشرطة، انتبهت للبطاقة التي أعطتني إياها الممرضة.

وقلت ما المانع لو عرضت صقر على الطبيب، كنت وقتها أفكر في إبلاغ والد زوجي، لكن تراجعت في اللحظات الأخيرة، خوفا من عدم تقبله.

كل ما أريده هو إيجاد أجوبة واضحة وصريحة لكل ما يحدث، أصدقك القول، كنت وقتها ايضا أريد التأكد هل صقر متزوج من تلك الـ"مريم".

قلت لك لن تفهم أحاسيس المرأة من هذا الجانب، كونك رجلا، نحن النساء أشرس أعدائنا هم النساء أنفسهن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

العيادة تبدو خالية من البشر، كنت أنتظر بتلك العادة السخيفة التي تربت معي منذ صغري، وأنا أهز قدميّ دليلا على القلق.

تقدمت نحوي موظفة الاستقبال، طالبة مني التوجه نحو غرفة الطبيب.

لا أخفي عليك، عندما دخلت أحسست أنني أنا المريضة التي تحتاج لتشخيص حالة، لأجد ذلك الطبيب ضخم الجثة، والتي لم تؤثر تلك الضخامة على ملامح وجهه الهادئة، بعدما رفع رأسه وهو ينظر لي بابتسامة أقل هدوء من لطافة سحنته.

لم أعطِ لنفسي أي فرصة لأي مقدمات.

رحت أقص للطبيب كل ما حدث، وهو يستمع ويدون كل ما أقوله باهتمام كبير، وبعد الانتهاء قال جملة أشعرتني بكثير من الخوف:

- يبدو أننا سنعيش مع حالة نفسية أو ظاهرة غير طبيعية فريدة من نوعها.

الجملة ظلت عالقة برأسي منذ أن خرجت من العيادة، علما بأن الطبيب علي، لم يتكلم كثيرا عن حالة زوجي، وطلب مني مشاهدته والتحدث معه بشكل مباشر، من أجل تشخيص الحالة بدقة أكثر، وقال لي إن مثل حالات صقر لا تدوم طويلا وتعود بالتدريج لحالتها الطبيعية، اذا ما كانت على حسب الحالة التي رسمتها له.

وبالفعل، حددت موعدا مع الطبيب لزيارة المنزل والتدقيق بشكل كبير على حالة صقر.

كانت في البداية زيارة عادية جدا هادئة، لم يتخللها أي من تصرفات صقر الغريبة، كان يتحدث بكل لباقة حتى أنه استفسر عن هذه الزيارة، وبررت له أنه أحد الأطباء المتابعين للحالة وتفهم ذلك الوضع بكل سرور.

مع صقر الجديد، لا تستمر الأوضاع بشكلها الطبيعي أبدا، عندما عاد لتصرفاته الغريبة، بالتحديد بعد أن انسكبت كأس العصير على الطاولة بسبب حركة سريعة من الطبيب، همّ زوجي بالوقوف محاولا تدارك الوضع، ويخفف عنه وطأة الإحراج بمثل هذه المواقف.

- لا عليك أيها الطبيب «شر وعدى»، مكملا عبارته وهو يقول انسكاب الماء وما يشابهها بهذا الشكل فأل حسن، لا تتضايق كثيرا واعتبر نفسك في بيتك.

أعرف زوجي جيدا لا يهتم لتلك القصص والأحاديث، وقتها نبهت الطبيب عن طريق "الواتس اب"، باتفاق مسبق بيننا، في حال أبدى أي يتصرف غريب.

التقط الطبيب هذا الخيط وراح يسأل زوجي عن إيمانه بتلك الأمور، راح زوجي يتحدث عن تلك الاشياء بكل حرفية، وكأنه شخص متخصص بتلك الأمور ويعرفها جيدا.

أنا أعرف صقر لا يؤمن بتلك الأشياء خاصة بعد ذلك الموقف الذي حصل في يوم زواجنا عندما انسكب كأس العصير على ثوبه، وكانت وقتها المصورة من إحدى الجنسيات الآسيوية تشاهد الموقف، وهي تقول لي: انسكاب العصير فأل خير، انتوا موعودين بليالٍ سعيدة.

نقلت هذه الحادثة لزوجي الذي ضحك باستهزاء قائلا:

- هل تصدقين هذه التخاريف، نحن الآن في زمن العلم الواقعي والتجارب، ولا يوجد مجال لتلك الخزعبلات.

ثم أمسك يدي وقال:

- صدقي فقط كل ما تراه عيناك، ويقنع عقلك.

وعودة للأحداث..

وبينما الطبيب يتحدث معه، التفت نحوي وقال:

- مريم أبلغي الخادمة بأن تأتي بكأس عصير آخر وتنظف المكان.

التفت الطبيب ناحيته قائلا:

- يقولون إنك تعشق تربية الحمام كثيرا.

ابتسم زوجي بسعادة كبيرة، كأنه طفل قد فوجئ بدمية صغيرة في عيد ميلاده، وهو يقول:

- هوايتي منذ الصغر يا دكتور علي، أنت لا تعلم كمية السعادة عندما تقوم بتربية تلك المخلوقات الجميلة.

وقتها لم أتفاجأ فكما قلت لك، اعتدت على هذه الأمور، بينما كانت المفاجأة الصادمة التي جعلت قدميّ تتحركان دون وعي بعدما سأله الطبيب ذلك السؤال:

- هل تود أن تعلم تلك الهواية لأبنائك؟

رد عليه بكل ثقة:

- جاسم وفهد سيورثان عني تلك الهواية، وسأعلمهما كل كبيرة وصغيرة عن هذه الطيور الرائعة.

ثم نظر لي قائلا وهو يبتسم:

- هل تعلم يا دكتور أن زوجتي تطالبني بترك تلك الهواية.

هز الطبيب رأسه محاولا إيهام صقر بأنه مهتم، لكنه فاجأه بسؤال آخر:

- صقر.. هل تعلم نحن في أي عام؟

نظر صقر لنا، وراح يغمض عينيه وهو يضع يده على رأسه، كأنه يريد التذكر، ثم فجر تلك المفاجأة بوجهينا قائلا:

- على ما أعتقد نحن بعام 1988!

راحت الصدمة تسري بجسدي كله، قبل قليل يذكر أسماء أبنائه، والآن يقول نحن بسنة مرت عليها أكثر من 26 عاما!

- راح الطبيب يردد بهدوء، هل تحب زوجتك يا صقر؟ وهل تفضل امرأه عليها ؟

- نظر لي بجمود، وراحت ملامح وجهه تتغير، ثم قال:

- يبدو أنهم نجحوا في إرغامي على الزواج من امرأه ثانية، رغم حبي الكبير لمريم.

كانت عبرتي تخنقني بقوة كبيرة، لكنني كنت أحاول كثيرا أن أتماسك حتى لا أنهار، الموقف الذي أمامي خارق للعادة، صقر يطعنني بلا هوادة، يتمنى عودة مريم التي لا أعرفها بدلا عني.

هنا عمّ الصمت المكان، وأخرج الطبيب ورقة صغيرة، وراح يدوّن كل الملاحظات التي حدثت.

ثم سأل الطبيب صقر مجددا:

- أين مريم هذه التي تتحدث عنها؟

عاد صقر لهدوئه، كأن شخصية أخرى قد تلبسته وهو يقول للطبيب:

- عن أي مريم تتحدث يا دكتور؟!

رحت أنظر له بكل شغف، وأريده أن يذكر اسمي.

قال له الطبيب بعد أن وضع قلمه على الطاولة..

- زوجتك التي تحدثت عنها قبل قليل.

رد صقر بارتباك كبير، وهو ينظر لي وينظر للطبيب:

- ليس لدي إلا زوجة واحدة وهي داليا، وهو يوجه سبابته ناحيتي.

هز الطبيب رأسه متفهما، بينما صقر راح ينظر لنا بغرابة، ثم وضع يده على رأسه، هنا انتبهت وقلت له:

- هل تعاني من شيء؟

قال صقر:

- الألم الذي أشعر به دائما برأسي يعود مجددا.

قال الطبيب:

- لا تشغل نفسك بالتفكير كثيرا، أنت بحاجة للراحة.

وقبل أن ينهي جملته: همّ الطبيب واقفا يطلب الاستئذان بالخروج،

بينما أنا ساعدت صقر على النهوض والتوجه به نحو الغرفة، لم أصبر كثيرا، أريد أن أفهم من الطبيب ماذا استنتج بعد كل هذه الأحداث.

وبعد أن نام صقر، اتصلت على الطبيب، الذي طلب مني زيارته في العيادة صباح اليوم التالي من أجل أن يتحدث بكل شفافية عن حالة زوجي.

لم أنم ليلتها كعادتي الوسواسية، حتى انكشف نور الفجر لأنطلق مسرعة إلى عيادة الطبيب، الذي كان هو الآخر بانتظاري.

وراح يتحدث عن حالة زوجي بشغف كبير، كأنه اكتشف اكتشافا علميا، قائلا:

- حالة زوجك مثيرة للاهتمام ونادرة الحدوث، وربما هي الأولى التي أشخصها بهذا الشكل، الأمر خارق للعادة ويتعدى كل تصورات العقل!

نظرت له ببعض من الاستغراب، وقلت له:

- حتى هذه اللحظة لم أفهم شيئا.

قال لي ببعض من التوجس:

- صقر يمر بحالة تقمص.

لم أفهم شيئا مما ذكر، وقلت له:

- هل زوجي ملتبس من الجن؟

ابتسم الطبيب قائلا:

- التقمص لا علاقه له بالجن أبدا لا من قريب أو من بعيد، إنها حالة فريدة نادرة الحدوث.

رحت أنظر للطبيب ببلاهة، كعلامة أنني لم أفهم شيئا.

- زوجك يعيش حاليا بين شخصيتين، شخصية تعيش بالماضي ولا أدري إن كانت حقيقية، وشخصيته الحالية، وهذه الحالة تسمى حتى الآن «تقمص».

ثم صمت قليلا وهو يضرب بالقلم على الطاولة، وأكمل:

- الغريب في زوجك أن حالة التقمص هذه لا تحدث الا للأطفال الذين لم تتعد أعمارهم 12 أو 15 عاما، زوجك رجل عمره فوق 25 عاما، وأغلب الحالات وربما جميعها تحصل بعمر صغير ثم تتلاشى مع الأيام، وهو الأمر الذي يؤكد أن حالة زوجك خارقة للعادة.

قلت له مقاطعة حديثه:

- هل الشخصية الثانية التي يظهر بها لنا تعيش حاليا؟

قال الطبيب:

- مستحيل أن تكون على قيد الحياة، لو كانت حالة تقمص حقيقية.

نظرت اليه بذهول، وفي حالة من القلق، وقلت:

- هل تستمر معه هذه الحالة طويلا؟

رد الطبيب:

- من الصعب أن تستمر معه طوال حياته، لكن أيضا من علامات الغرابة في حالة زوجك، أنه يعيش الشخصيتين في آن واحد، لكنه لا يتحدث كثيرا عن الشخصية الميتة أو التي كانت تعيش في الماضي، أي أنه إذا ظهر بالشخصية الأخرى يتقمصها بحذافيرها وبدقة كأنه يعيش لحظتها، والدليل على كلامي عندما سألته بأي عام نحن، كان رده قاطعا بأنه يعيش في عام مضى عليه سنين طويلة، وهي أغلب الحالات التي تحصل للمتقمصين.

يكونون بكامل إدراكهم، ويعلمون جيدا أنهم يعيشون بين شخصيتين، ويحاولون التفريق بينهما.

قلت بقليل من اليأس:

- وما الحل يا دكتور؟

في مثل هذه الحالات لا يوجد علاج مباشرة، وكل ما أطلبه منك هو التقصي عن الشخصية الثانية التي يتقمصها من الماضي، وعلى ما يبدو أن قصة الشخصية الأخرى كانت تعيش في حولي بتلك الشقة التي زارها مرة معك، وأخرى زارها وحده.

حاولي البحث عن تلك الشقة والتقصي عنها، لأنها من الممكن أن تفتح لك العديد من الأبواب، وتفك تلك الرموز التي جعلتك تعيشين في حالة من الصدمة.

ومن الممكن أن تكون علاجا مباشرا لحالة زوجك، وبالتحديد أن معك خيطا مباشرا، باسم زوجته في عالمه الذي كان يعيشه بالماضي.

أعلم جيدا أن أمامك مهمة صعبة وشائكة، ويجب أن تواجهي الأحداث بشكل مباشر، وأعتقد أن حالة زوجك ستتدهور كثيرا، وأخشى أن يعيش بشكل كامل في عالم الشخصية الثانية، ويفقد ذاكرته التي كان يعيش بها معك قبل حادثة سقوطه، الأمر يحتاج منك الى الكثير من الحكمة.

شعرت بكثير من الحزن وبانت على وجهي معالم القلق بعدما سرحت بفكري قليلا.. فقاطعني الطبيب قائلا:

السر موجود بتلك الشقة في منطقة حولي، وأول خيط من الممكن أن يجر معك كل الأحداث، وحارس تلك العمارة بالتأكيد يعلم سر هذه الشقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

أعتقد جيدا أنك تعلم ما المهمة الجديدة التي سأقوم بها، رغم أنني ترددت كثيرا قبل أن أخطو تلك الخطوة، وبعد تفكير طويل قلت لنفسي:

- لو تركت صقر على هذه الحالة ولم أبحث عن تلك الشخصية التي يعيشها، فمن الممكن أن أخسر زوجي للأبد، وربما ستكون نهايته في مستشفى الطب النفسي.

وبعدها سأعود مرة أخرى لبيت زوجة أبي أمينة وأعود لتلك الحياة المريرة، كابوس مرعب لا أود تكراره, لابد من البحث، المهمة التي أمامي زيارة تلك العمارة والتحدث مع ذلك الرجل الذي يبدو لي أنه يملك الكثير من المعلومات.

قدت سيارتي بعد يومين من زيارتي لعيادة الطبيب، كنت قلقة بشكل لن تتصوره، وأفكر كثيرا، كيف أفتح الموضوع مع ذلك الرجل، والذي على ما أذكر اسمه عرفة.

وصلت للبناية، ركنت السيارة بأحد المواقف، الأصوات بتلك المباني دائما كما هي، والروائح يبدو أنها لا تتغير فيها أبدا.

نظرت الى باب الشقة المتهالك الذي وقف عنده زوجي من قبل وادعى أنه يسكن به، ورحت أتساءل أي أسرار تخفي خلفك.

أخذت شهيقا وعاودته بزفير طويل، كمحاولة لإعادة الثقة لنفسي ومنحي قليلا من الشجاعة والجرأة، وطرقت باب الحارس، انتظرت وتأكدت أنه موجود، صوت التلفاز كان واضحا من النافذة الجانبية،

فتح الباب، وعندما رآني تغيرت معالم وجهه قليلا، أعتقد أنه تذكرني، وتذكر الأحداث التي حصلت له مع صقر.

لم أتفوه بأي كلمة، لكنه باغتني قائلا:

- أي مصيبة جديدة تحملينها معك اليوم؟!

ابتسمت بمحاولة مني لتلطيف الموقف، وقلت له:

- المصائب ستتوقف لو أنك تعاونت معي.

راح ينظر لي باستغراب وقال:

- يا مدام أنا رجل مسالم ولا أحب المشاكل، ولم أدخل أقسام شرطة طوال حياتي، وأول مرة حصلت عندما اشتكيت على زوجك قبل أسبوعين.

هززت رأسي بعلامة مني أنني متفهمة موقفه، وقلت:

- صدقني أنا هنا من أجل مساعدتك، وفي نفس الوقت مساعدة نفسي، فنظر لي وقال:

- ما دخلي أنا بهذا كله، وبالتحديد حالة زوجك التي شرحها لي على ما أعتقد والده عندما كنا في قسم الشرطة.

قلت له وبكل ثقة:

- أنت عنصر أساسي الآن في حالة زوجتي، وباب مهم سيساعدني كثيرا في علاجه من تلك الحالة، كل ما أطلبه منك هو الاستماع لي.

على ما يبدو أن العم عرفة قد تفهم الموقف، بداعي الفضول، وراح يستمع لي عن قصة حالة زوجي من بدايتها حتى يوم زيارة الطبيب.

وبعد انتهائي من الحديث، نظرت له وقلت:

- على ما أعتقد أنك فهمت ما أريده.

ومن ثم نظرت إلى باب الشقة ذات الباب المتهالك.

- أرجوك يا مدام ابعديني عن هذا الموضوع، أنا هنا مهمتي هي تلبية احتياج السكان في البناية، وهذه الشقة مغلقة بطلب من مالك العمارة، ولا أملك أي حق بالحديث عنها.

ثم استدار في محاولة منه أن يبتعد، هنا تقدمت أمامه بشكل مباشر وقلت:

- عم عرفة، المرأة التي تقف أمامك حياتها الزوجية مهددة بالضياع، وأنت مفتاحي الأول، كل ما أطلبه منك معرفة قصة هذه الشقة.

صمت العم عرفة، وظهرت على وجهه معالم القلق، لكنني قاطعته:

- أرجوك.. أنا في مأزق كبير.

جر العم عرفة الكراسي الموجودة بجانب باب شقته، ثم طلب من الجلوس، وقال:

- لا أريد أن أكون سببا في أذية أحد، منذ وصولي إلى هذا البلد وأنا أحاول قدر الإمكان الابتعاد عن المشاكل، ويبدو أن قصة هذه الشقة ستكون لعنة تصاحبني، لا أعلم.. شيء بداخلي يود أن يحكي لك قصتها، وبنفس الوقت هناك أمر آخر يمنعني من ذلك.

تنهد قليلا.. ثم قال:

- لا يضر، سأساعدك ودوري سينتهي بعد أن تعرفي الحكاية فقط.

هززت رأسي بكل حماس وقلت:

- لك ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

أنا لا أعرف الحكاية كاملة؟

هذا ما قاله العم عرفة في بداية حديثه عن تلك الشقة الغريبة.

- كل ما أعلمه هو ما حكاه لي والدي الذي كان يعمل هنا منذ البدايات الأولى لهذا المبنى شبه العتيق، فهو من المؤسسين الذين عملوا مع الملاك منذ البداية، على ما أعتقد أن هذه العمارة بُنيت عام 1985، بينما أنا كانت بدايتي هنا عام 1995، وأعتقد أنك تعلمين أن السبب وراء ذلك والدي الحاج عويس، الذي أراد أن أورث مهنته، وبالفعل بدأت أتعلم أساسيات هذا العمل الجديد، بسبب إرشادات أبي الصارمة، وحرصه الكبير على تعلم كل كبيرة وصغيرة، كنت وقتها في التاسعة عشرة من عمري.

كنت مثل التائه الذي ضاع وسط زحام الحياة في البداية، أنا أفضل من غيري، فوالدي أخذ بيدي وعلمني كل أسرار هذه المهنة التي يراها البعض مهنة وضيعة، لكنها تحمل بأسرارها الكثير، ولها قواعد خاصة بكيفية التعامل مع قاطني هذا المبنى.

ومنذ وصولي لهذا المكان، سنّ والدي العديد من القوانين والشروط، التي لا يمكن تجاوزها بأي حال، وكان هناك شرط مهم، طالبني أبي بعدم تجاوزه.

صمت العم عرفة قليلا.

قاطعته.. وقلت له:

- أكمل يا عم عرفة.. ما هو ذلك الشرط.

قال وهو يزدرد لعابه وينظر ناحية باب الشقة:

- عدم الاقتراب من هذه الشقة لأي سبب كان، وعدم تأجيرها لأي شخص، والسبب أنها مخزن للاستخدام الشخصي لصالح صاحب العمارة، طبعا هذا ما كان يقوله لي والدي.

وبالفعل بدأت أتشرب أصول صنعتي، حتى جاء ذلك اليوم أي بعد عامين من عملي هنا بالتحديد عام 1997، عندما قرر والدي السفر لبلدي من أجل قضاء إجازة الصيف، إلا أنه هذه المرة قال إنه سيغيب أكثر من 6 شهور، وهي المرة الأولى التي أدير فيها الأمور بمفردي طوال هذه المدة، خاصة أن أبي اطمأن على وضعي بعد أن وجد أنني تعلمت كل شيء بهذا المكان.

مرت الأيام سريعة حتى جاء ذلك اليوم، عندما طرق الباب أحدهم مثلما طرقته إنتي.

وبدأ يسأل عن حال هذه الشقة، والسبب وراء عدم تأجيرها كونها تملك موقعا مميزا بالعمارة ومن الممكن تأجيرها بمبلغ كبير من المال، وكان ردي جاهزا لمثل هذه الأمور:

«الشقة استعمال شخصي لمالك العمارة ويستخدمها كمخزن».

طبعا هذا الرد لم يقنع ذلك الشاب الذي راح يتردد على العمارة بين حين لآخر، وفي كل مرة يطرح تلك الأسئلة، وشعرت بأن هناك رغبة كبيرة لديه من أجل تأجير المكان.

المهم سئمت من هذا كله بسبب إلحاحه واتصالاته وزياراته الكثيرة، وقررت طرده، لكنه سبق الأحداث وقال إنه مستعد أن يدفع 500 دينار بهذه الشقة، وعدم تسجيل أي عقد بالمقابل تأجيرها لمدة أسبوعين فقط.

لا أخفي عليك، طمعت وسال لعابي على مثل هذا المبلغ, وبالتحديد بذلك الوقت كان يفعل الشيء الكثير لي، لم أتردد ووافقت سريعا عن طلبه، والاشتراط عليه أن يخرج بعد انتهاء الأسبوعين، وعدم إثارة أي ضجة أو إزعاج، أو أي نوع من الشبهات.

وافق الشاب مباشرة ورحت أجهز الشقة، على أمل أن والدي لن يعود إلا بعد ستة شهور، والمدة لا تزيد على أسبوعين، وهناك وقت كاف للانتهاء من هذا كله.

جهزت الشقة بعد تنظيفها، وفتح بعض الشبابيك التي كانت مغلقة بإحكام شديد، بعدما سدت بحواجز حديدية.

وبدأت بالفعل مهلة الأسبوعين بعد أن سكن ذلك الشاب، واتضح لي أنه يسكن ومعه بعض الشباب الآخرين الذين ظهروا فجأة، لم أكترث كثيرا لهم، همي الآن هو مرور الأسبوعين على خير فقط.

وفي اليوم الأول من سكنهم، سمعت طرقات عنيفة على باب غرفتي هذه، نظرت للساعة كانت تشير إلى الثالثة فجرا، فتحت عيني بثقل، ونهضت بتكاسل كبير، وعندما فتحت الباب فوجئت بوجود ذلك الشاب بملابسه الداخلية، بعد أن بانت على وجهه ملامح الخوف والذعر وهو يقول لي بصوت صاحبه قليل من الجزع:

- تبا لك ولشقتك هذه!

ثم قام بعدها برمي مفاتيح الشقة بوجهي وانطلق سريعا وهو يحمل ملابسه بيده الأخرى، وقتها كان باب الشقة مفتوحا وجميع أغراض الشاب موجودة، لكن كان يبدو أن هناك نوعا من الفوضى المفاجئة التي حدثت بالمكان.

أقفلت الباب وعدت إلى غرفتي، وتساءلت ما سبب انفعال هذا الشاب، وهروبه السريع، حتى أنه لم يسألني على استرجاع الأموال التي أخذتها منه.

في اليوم التالي بعدما كنت جالسا بهذا الموقع في الصباح وبجانبي كأس الشاي، عاد ذلك الشاب من جديد، ونظر لي بقليل من الحنق وبعض القلق وهو يقول:

- لن أدخل هذه الشقة الملعونة بمفردي، أحتاج الى مساعدتك.

نظرت له مرة أخرى ووجهي كله تساؤلات:

- ما الذي حصل ليلة البارحة؟ لماذا تحدثت معي بهذه الطريقة؟

صمت لثوانٍ وهو يهز رأسه، ثم قال:

- شقتك مسكونة.

ابتسمت بسخرية.. وقلت:

- أنا أعمل هنا منذ أكثر من ثلاث سنوات لم أرَ أو أسمع أي شيء يصدر من هذه الشقة.

رد علي بقليل من الذعر:

- في الغرفة الأكبر حجما، كانت هناك امرأة، بجانبها ولدان يقفان عند هذه النافذة.

هنا التفت يا صديقي ناحية النافذة التي كانت مغلقة ببعض من الأسمنت.

قال لي العم عرفة:

- بالفعل هذه النافذة التي كان يقصد، أغلقتها بالأسمنت.

أكمل العم عرفة الحكاية..

قلت له:

- اهدأ اهدأ يارجل.. وقل لي ماذا حدث بالضبط.

راح ذلك الشاب يقول لي حكايته وبالتحديد ما حصل:

- أنت تعلم أننا دخلنا الشقة في الساعة العاشرة مساء، وبعد ساعتين تقريبا، حضر جميع الأصدقاء الذين دعوتهم للمكان، وجلسنا في صالة الشقة.

قامت إحدى الفتيات بالدخول إلى هذه الغرفة، بينما كنا نحن نجلس بالصالة، ولم يمضِ على دخولها فقط أقل من ربع ساعة، حتى سمعنا صرختها المدوية.

انطلق الجميع نحو الغرفة، ووجدنا تلك الفتاة مغمى عليها.

حاولت بقدر المستطاع إفاقتها، وبعد دقائق بدأت تستعيد وعيها، وما إن فتحت عينيها حتى راحت تنظر ناحية النافذة وهي تقول:

- كانت تقف هنا، مع ولدين، ترتدي فستانا أبيض، بوجه شاحب.

نظرنا ناحية النافذه جميعنا، ولم يكن أي شيء يؤكد وجود إمرأة كما تقول.

حاولنا تهدئتها قليلا، والبعض منا يقول لها يبدو أنها أوهام، وبينما نحن كذلك حتى راح صديقي الآخر يقول:

- أراها تقف عند الباب!

نظرنا جميعا ناحية المكان الذي يقصد، وبالفعل كانت واقفة تنظر لنا بهدوء، وهي تمسك بيدي الطفلين، كان وجهها بالفعل شاحبا، وترتدي فستانا أبيض، كأنه ثوب زفاف، لكنه ملطخ على ما يبدو بالطين من كل جانب، وما هي إلا لحظات حتى سمعت ضجة كبيرة حدثت، وكانت بسبب هروب أصدقائي الذي فروا مسرعين، حاملين أغراضهم، وتركوني وحيدا مع ذلك الشبح الذي تجسد بشكل امرأة،

ومن شدة خوفي لم أهرب لأنني لم أستوعب الصدمة حتى أنني لم أتفوه بكلمة واحدة، نظرا لهول الموقف.

وبعد إدراكي ما حدث شعرت برجفة هزت كل قسمة من قسمات جلدي.

رحت أتقدم بخطوات ثقيلة نحو الباب، والتفت ورائي وحولي خوفا من أن تفاجئني بظهورها، أخذت مفاتيح سيارتي، ثم خرجت وأنا أطلق لقدمي الريح متوجها نحو غرفتك.

وبعد أن سلمتك مفاتيح الشقة، وفي طريقي نحو سيارتي نظرت لتلك النافذة مرة أخرى، لأقف متفاجئا والدم يتجمد بعروقي بعد أن شاهدت تلك المرأة من جديد تقف بذلك الوجه الشاحب وهي تنظر لي ببرود وهدوء دون أن تصدر أي صوت.

أخذ العم عرفة تنهيدة عميقة، وراح يهز رأسه يمينا ويسارا وأكمل قائلا:

- في نفس اليوم وبعد أن أخذ الشاب جميع حاجياته من الشقة، وبينما أنا جالس في المساء قبل غروب الشمس، طبعا وقتها لم يشغل كل تفكيري إلا حادثة الشقة والأشياء التي حصلت لهم، سمعت صوتا غريبا يصدر من باب

النافذة، التفت ناحيته، لم أر شيئا، قلت في نفسي يبدو أن التفكير في مثل هذه الأشياء يجعلك تتصور أمورا غريبة.

بعدها بدقيقة سمعت أحدهم ينادي باسمي:

- عرفة ثم يسكت.. وبعدها بثوان يكرر النداء.

كان صوتا أنثويا.

التفت ناحيتي اليمين واليسار لعل أحد سكان العمارة ينادين، وبعد تفتيش دقيق للمكان لم يكن هناك أي شخص.

جلست مرة أخرى بمكاني وأنا متوجس كثيرا، وأنظر بحذر وريبة ناحية تلك النافذة، مترقبا حصول أي شيء غير معقول.

هنا تكرر الصوت مرة أخرى، صوت أقرب من سابقه!

- عرفة لماذا فعلت هذا؟ لماذا أقلقت راحتنا؟ كنا مرتاحين نيام!!

دققت نظري ناحية الشباك الملعون، الصوت كان يصدر منه، أنا متأكد.

الخوف جعلني أتجمد مكاني، حاولت الهرب، إلا أنني فكرت إلى أين أهرب.

تلك المرأة التي تحدثوا عنها أمس تناديني اليوم باسمي.. ما الذي فعلته؟

هممت بالنهوض من على الكرسي، كنت وقتها أفكر أن أدخل غرفتي، لكن الصوت عاد مجددا وهو يقول:

- عرفة أغلق الأبواب والنوافذ، لا نريد سماع أصواتكم، فالأولاد نيام.

لم أعد أتحمل وقتها أي شيء، شعرت بأنني ارتكبت خطأ كبيرا.

نوع من الشجاعة القليلة هي من جعلتني أتقدم ناحية النافذة، حتى فوجئت بوجود ذلك الرأس، هل أنا أتوهم! فركت عيني ودققت النظر.. نعم إنه رأس امرأة بشعر غير مرتب ووجه شاحب كما قال الشباب الذين استأجروا الغرفة ليلة البارحة، إنها بالفعل كما وصفوها لي.

هنا هربت بسرعة لغرفتي، وأغلقت على نفسي الباب.

فكرت ماذا أفعل، هل سأبقى طوال الوقت داخل هذا المكان.

من سيدير شؤون هذا المبنى.

لحظة.. هناك أمر آخر، جعلني أقلق أكثر.

يا إلهي.. لو علم سكان العمارة أن هذه الشقة مسكونة، أعتقد أنهم سيهربون كما فعلنا، ويتركون هذا المبنى.

لا.. لا.. من الممكن أن أتسبب بخسارة كبيرة.

يا لي من رجل أحمق، الآن فهمت لماذا كان أبي يحذرني من العبث بهذه الشقة وعدم الاقتراب منها، والدي كان يعرف كل شيء.

اتصلت في اليوم التالي بأحد الأصدقاء الذين يعملون في مجال البناء وطلبت منه أن يغلق نوافذ هذه الشقة بالأسمنت، وكنت وقتها مستعدا لدفع أي مبلغ حتى أنهي هذه المصيبة قبل وصول والدي، وأدفن تلك الأسرار التي بانت رؤوسها مجددا.

في اليوم التالي، حضر العمال وراحوا يعملون، كنت قلقا جدا خوفا من ظهور تلك المرأة للعمال وإخافتهم، وسارت الأمور على أكمل وجه، إلا من أمر واحد.

عندما فوجئت هذه المرة بوصول والدي غير المتوقع، كانت هنا المصيبة الكبرى.

ارتسمت على أبي "العم عويس" معالم الدهشة، وهو ينظر للعمال يقومون بإغلاق فتحة النافذة.

رحبت بحضور والدي، لكنه رد على ترحيبي ببرودة، وهو ينظر لي بطريقة وراءها العديد من التساؤلات، وينظر تارة أخرى ناحية النافذة.

ولم يعط أبي أي فرصة، وسألني مباشرة عما فعلته بهذه الشقة، ولماذا تم فك الحديد السابق الذي كان على النافذة.

وقتها لم أجد أي إجابة، تلعثمت بالكلام، فلم أجد أي مهرب سوى قول الحقيقة كاملة.

وضع والدي يده على رأسه، ما الذي فعلته يا...

«عاوز تودينا في داهية».

نظرت له بتوتر شديد له وقلت:

لا تخف يا أبي، لقد تداركت الأمور بسرعة.

قاطعني بقلق:

- هل شعر أحد سكان العمارة لما يحدث بهذه الشقة؟

قلت له:

- تداركت الأمور سريعا، وشرحت له ما حدث بالضبط.

صمت والدي لدقائق! ثم عاد يقول:

- هذه الشقة يوما ما ستدخلنا مستشفى المجانين.

كنت خائفا وفي نفس الوقت محرجا من والدي بسبب ما فعلت، لقد خذلته بأول تجربة حقيقية لي.

تركني والدي وخرج، بينما العمال قد أنهوا مهمتهم وأغلقوا النافذة، وبقيت طوال الليل أنتظر والدي، لكنه لم يحضر، لا أعلم إلى أين ذهب، حتى غلبني النعاس.

في اليوم التالي، استيقظت فوجدت أبي جالسا بالخارج على أحد الكراسي يراقب تلك النافذة سارحا بالتفكير، أتيت ناحيته وقبّلت رأسه، معتذرا عن تلك الحماقة.

وشرحت له الظروف والأسباب، التي بصراحة لم تكن مبررا لكل ما فعلت.

نظر لي بشيء من الغضب، وقال:

- هذه المرة عدت على خير، إياك وتكرار هذا الفعل، لأنك لو عاودتها ستجدنا نحمل حقائبنا عائدين لبلادنا، أسرار البيوت مثل الصناديق الزجاجية، لو حدث لها شرخ صغير لن تعود كما كانت ولربما تتحطم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11

كان العم عرفة يقلب بالملعقة كوب الشاي الذي أعده لي بعد توقفه عن سرد حكايته مع هذه الشقة، بينما كنت أنا سارحة بخيالي أفكر بما قاله لي عنها، والحالة الغريبة التي حدثت بها.

بعدها قطعت حالة السرحان التي كنت عليها وبصورة مفاجئة قلت له:

- حتى الآن لم أجد إجابة صريحة أو رابط بين حالة زوجي، وتلك الشقة؟

نظر لي العم عرفة وهو يرتشف من كأس الشاي الذي أعده قائلا:

- كل ما قلته لك هو ما حصل لي مع هذه الشقة.

قاطعته متسائلة:

- هل تعرف من كان يسكن بهذا المكان من قبل؟

- لم أر أي شخص يستأجر الشقة منذ وصولي أو يسكنها، قالها وهو يحاول استذكار شيء معين، ثم أعقبها بتلك الجملة:

- نعم هناك حكاية أخبرني بها والدي عن هذه الشقة، لكنها حدثت قبل الغزو.

ثم صمت قليلا وأكمل يستذكر تلك الأحداث:

- هناك عائلة وحيدة سكنت الشقة، ومن بعدها لم يسكن أحد.

نظرت له بسعادة واستغراب بنفس الوقت قائلة:

- قل ما عندك لربما نصل إلى أي خيط يساعدنا في إنقاذ زوجي.

تحدث وهو يحاول تجميع أفكاره:

- حكى لي والدي أن هذه العمارة تم بناؤها سنة 1985، وكانت من أحدث العمارات التي بنيت في المنطقة آنذاك، ولم يسكن بهذه العمارة إلا من مكان ميسور الحال، بسبب ارتفاع الإيجار, نظرا لكبر حجم الشقق وحداثتها.

طبعا هذه الشقة كانت تسكنها عائلة مكونة على ما أذكر من رجل وزوجته وولدين.

صمت قليلا كأنه يتذكر شيئا، وعاد قائلا:

- على ما أعتقد اسم هذا الرجل أبو جاسم.

يقول أبي إنهم في إحدى الليالي اشتموا رائحة كريهة تنبعث من هذه الشقة، ليكتشفوا بعدها جثة أبو جاسم مقتولا بضربة في جبهته، وبنفس الوقت لم يجدوا أي أثر لزوجته وأبنائه.

قلت له:

- من قتل أبو جاسم؟

قال:

- هذا السر الذي لم يعرفه أحد، لكن التحقيقات التي توقفت أكدت أن زوجته هي من قتلته وهربت.

نظرت للعم عرفة وسألته:

- لماذا توقفت التحقيقات؟

جاوبني:

- بسبب الغزو الذي حصل للكويت، على ما أعتقد أنهم وجدوا الجثة بتاريخ 29/7/1990، قبل موعد الحرب التي شنتها العراق على الكويت بثلاثة أيام، يقول أبي إنهم فتحوا تحقيقا مطولا بتلك الأيام القليلة، وكل الدلائل أكدت أن الزوجة هي القاتلة بسب عدم وجودها.

- لماذا لم تستكمل التحقيقات بعد الغزو؟ والقبض على الزوجة؟

قلتها.. محاولة إيجاد تفسيرات منطقية.

قال العم عرفة:

- الذي فهمته من والدي أن الزوجة من أحد البلدان العربية البعيدة، واختفت تماما بعد هذه الحادثة الغريبة هي والولدان، وهو ما جعل عائلة أبوجاسم بعد الغزو تغلق المحضر بشكل نهائي وعدم الاكتراث له, خاصة أن الدلائل كلها قد ضاعت بسبب تلك الحرب.

قلت له مرة أخرى:

- هناك حلقة مفقودة في كل ما تقول، أمر غريب قضية قتل مثل هذه تحصل دون أي اهتمام من أهل القتيل!

قال العم عرفة:

- ذكر لي أبي أن أبو جاسم كان إنسانا رائعا في التعامل، ولا يستحق ما حدث له، حتى زوجته امرأه في غاية الأدب والأخلاق، وخلال السنوات الخمس التي

عاش بها في هذه الشقة لم نرَ أو نسمع منهم أي مكروه، وكان كل ما يضايق والدي، هي العشة الصغيرة التي كانت فوق سطح العمارة والتي كان يربي فيها أبو جاسم الحمام، فهو من عشاق هذه الهواية.

جحظت عيناي بعد أن سمعت هذه العبارة.. وقلت:

- هل أنت متأكد مما تقول؟!

قال لي:

- نعم، العشة قد تمت إزالتها منذ سنة تقريبا.

لقد أمسكت بأول خيط مرتبط بحالة زوجي الغريبة التي تحدث معه. كيف ذلك:

قلت له مرة أخرى بحماس كبير:

- هل كان يحب مشاهدة المباريات؟

نظر العم عرفة باستغراب.. وقال:

- بصراحة لا توجد عندي أي معلومات.

سألته مجددا:

- حتى الآن لم أجد إجابة لمنع والدك استئجار المكان.

ابتسم العم عرفة وقال:

- توجد العديد من الإجابات، بعد تحرير الكويت مباشرة قام والدي بالإعلان عن استئجار المكان بعد أن تم إغلاق المحضر الخاص بالقضية، وبطلب من صاحب العمارة، وطبعا هذا السر لم يخبرني به والدي بذاك الوقت، وأخبرني به بعد تلك الحادثة مع الشباب الذين استأجروا المكان مؤقتا وهربوا بعدها.

قالي بتلك الفترة إنه كان دائما يسمع أصوات ضحك ولعب أطفال وبالتحديد بعد غروب الشمس بثوان، وكان يظن أنها أصوات أطفال العمارات القريبة.

وفي ليلة, وبالتحديد عند الساعة الثانية فجرا، استيقظ على صوت أطفال وامرأة تتحدث معهم.

يقول والدي.. إنه نهض وبحث في ساحة العمارة، لكنه لم يجد أي شيء، إلا أن صوت الأطفال كان يتكرر مع صوت المرأة.

جن جنون أبي، لأنه من غير المعقول أن يكون هناك أطفال مستيقظين في هذا الوقت.

الأصوات لا تزال تتكرر وتحدث، ليكتشف والدي أنه يصدر من هذه الشقة، ظن أبي العم عويس في البداية أن أحدهم يختبئ في الشقة، وعند دخوله لم ير شيئا.

واستمر هذا الصوت لليالٍ عديدة دون أي تفسير واحد له.

لم يهتم والدي كثيرا لتلك الأصوات الغريبة، ووافق مباشرة بعد أول عرض لاستجارها.

بعدها سكنت عائلة في الشقة، لكنها لم تستمر أكثر من ثلاثة أيام

وكانوا يقولون إن هذه الشقة مسكونة، لأنهم يسمعون أصوات أطفال وامرأة، ومرات يتحول هذا كله الى بكاء.

ناهيك عن أبواب الدواليب تفتح وتغلق من تلقاء نفسها، غير الفوضى التي يجدونها تحصل في المطبخ أو في غرفهم بعدما يستيقظون في اليوم التالي.

ومن أشهر الحوادث التي حكاها لي والدي، أن أحد ساكني هذه الشقة وجد في ثالث يوم من سكنه ملابس عائلته كلها ممزقة تمزيقا كاملا، حتى إن إحدى بناته قد تم عرضها على أطباء نفسيين بسبب ما تعرضت له من موقف مرعب، بعد أن شاهدت كما تقول إمراة مع أولادها تقف في الغرفة الكبيرة وهي تنظر لها بهدوء، هذا كله أعطى هذه الشقة سمعة سيئة، حتى إن ساكني العمارة بدأوا يسمعون عن تلك القصص التي تحصل في هذه الشقة، وأنت تعرف الزيادات التي تضعها الناس على تلك الحكايات والبيوت المسكونة، وراح البعض منهم يهرب منها خوفا من أن يحدث لعائلته مكروه، أو يواجه تلك الأشباح.

ويقول أبي أيضا إنه رأى تلك المرأة بأم عينيه كثيرا وهي تطل من النافذة هذه من دون أن تتفوه بكلمة واحدة، فقط كانت تنظر!

وأخيرا استقر والدي مع صاحب العمارة على قرار واحد هو إغلاق هذه الشقة وعدم استخدامها نهائيا خوفا على سمعة العمارة خاصة أن الشائعات التي مثل هذه بذلك الوقت كانت تنطلق بسرعة كبيرة.

قاطعته قائلة:

- هل تذكر اسم أبو جاسم الحقيقي؟

قال لي العم عرفة:

- في الوقت الحالي لا أتذكر شيئا، لكن من الممكن أن أحصل عليه من الملفات القديمة في المخزن، وطبعا هذا كله يحتاج الى وقت.

شكرت العم عرفة على كل ما فعله معي، وطلبت منه أن يساعدني في إيجاد الاسم بأسرع وقت.

وأثناء حديثنا عن تلك الشقة وأسرارها، رن هاتفي المحمول، كانت المكالمة من الخادمة الآسيوية، فوجئت بصوتها المذعور وهي تقول لي إن زوجي صقر قام بطرد كل من في البيت وأغلق جميع الأبواب وهي الآن مع الباقين مطرودين.

نهضت بسرعة وقلت للعم عرفة، يبدو أن الأحداث ستكون سريعة في الأيام المقبلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

أدرك جيدا أن الحياة عبارة عن بوابات، وكل باب يعبر عن معنى معين، وأحد هذه الأبواب هو باب الحظ السعيد، وأدرك جيدا أنني لم أختر ذلك الباب، ويبدو أن الباب الذي اخترته يطلقون عليه "خيبات".

أيها الصديق العزيز:

من بعد أمينة زوجة الأب القاسية، الآن أواجه مريم والمجهول.

وقفت أمام الباب، أطرق عليه بشدة بعد أن تم إغلاقه بإحكام من الداخل، وأطلب من صقر فتحه، لكنه كان يرفض بعناد كبير، كنت قلقة جدا، خوفا من أن يرتكب صقر أمرا ما، أو يلحق الضرر بنفسه، فهو يعيش بحالة الوعي واللاوعي، غير مدرك لما يفعله.

كالعادة المنقذ بهذه الأمور هو عمي والد زوجي، جاء مسرعا مثل كل مرة، أعتقد أن صقر جعل والده يعيش حالة من الفزع المتواصل.

وبعد جهد جهيد تم كسر الباب، وعندما دخلنا فوجئنا بحالة صقر التي وعلى ما يبدو أنها تطورت بشكل كبير، بعد أن وقف وهو يمسك السكين ويرفعها بوجوهنا ويقول:

- إذا لم تخبروني أين أخفيتم مريم سأقتلكم جميعا، أعرف جيدا أن بدرية وراء كل هذا، هي السبب، تريد مني تطليق مريم.

ثم راح ينظر نحو والده، وكانت واضحة تلك نظرات الشرر الحادة ناحيته، وقال:

- سليمان «يا راعي التاكسي»، هل تظن أنني لا أعرف أنك متواطئ معها، صدقني بمجرد أن تنهي مهمتها ستبيعك، ولن توفي بوعدها لك، أعرفها جيدا كل ما يهمها هو مصلحتها الشخصية.

وقف عمي مذهولا بعد سماع تلك الجملة، وهو ينظر لي كأن هناك من هز كيانه!

ملامح وجهه تؤكد لي، أن ما قاله صقر قد شكل نوعا من الصدمة له.

هنا انطلق أحد الخدم بحركة مفاجئة مستغلا تركيز صقر على والده، وقام بتثبيته، بينما الآخر استطاع أخذ السكين منه.

كعادة بعد كل حالة ثوران، أو تقمصه الشديد لتلك الشخصية غير المعروفة ينهار بالأخير، ويغمى عليه.

بينما أنا جلست أنظر لعمي أبو صقر، الذي ظل واقفا، دون أن يتفوه بكلمة، وهو بحالة ذهول كبيرة، حاولت الحديث معه، إلا أنه لم يرد، أجزم لو أن هناك طيرا على رأسه لن يشعر بها.

قلت له وأنا أجلس على الكنبة التي تم تمديد صقر عليها، أحرك رجلي بشدة كبيرة كإشارة على حالة التوتر والقلق التي أمر بها بهذه اللحظة، كوني أراقب حالتين من الغرابة:

عمي لقد تمت السيطرة على الموقف، وأنا أهزه بيدي من ناحية كتفه، كونه يقف بجانب الكنبة، وهو ينظر للأرض، وحالته كما هي لم تتغير.

التفت ناحيتي وعيناه متسعتين من الذهول والصدمة!

عمي.. لا جديد بحالة صقر، لماذا كل هذه الدهشة التي اتضحت على وجهك؟

قلتها وأنا أيضا شعرت بأن هناك أمرا غريبا قد حصل.

- صقر لم يولد بعد، كيف عرف ذلك؟

قالها وهو لا يزال يعيش بحالة الغرابة والتعجب!

- ماذا تقصد بكلامك هذا ؟!

قال وهو يضع يديه على رأسه!

- هناك أمر غريب يحصل، صقر يمر بحالة قد فاقت التوقعات.

قلت بنفسي متذمرة:

- يا له من اكتشاف عظيم يا عمي، ما استنتجته جاء متأخرا، أنا من تتحمل كل هذه المصائب، وأنت الآن تأتي لتقول «صقر يعيش حالة فاقت التوقعات»!

هكذا هم التجار، آخر اهتماماتهم حياتهم الشخصية وعائلاتهم.

قطع عمي موجة حديث النفس قائلا:

- كيف عرف اسم بدرية؟

ثم قام بعدها وراح يسير نحو الباب، وهو يتمتم بتلك الكلمات، حاولت أن أوقفه، لكنني لم أستطع.

لا..لا.. هل عمي أصابته عدوة صقر؟!

رحت أفكر وأعيد الموقف الذي حصل للتو، وبتلك الجملة التي قالها صقر.

«سليمان يا راعي التاكسي».. أعلم جيدا أنك معها، صدقني بمجرد أن تنهي مهمتها ستبيعك، ولن توفي بوعدها لك».

لحظة، العم سليمان هو اسم والد زوجي، صاحب التاكسي ماذا يقصد صقر بذلك ؟

يعني أن صقر كان يخاطب والده، لحظة.. صيغة المخاطبة تختلف كثيرا!

لم يسبق لصقر أن تحدث مع والده بمثل هذا الشكل!

من تلك التي لن توفي بوعودها، أنت كما تعلم يا صديقي أن زوجي يعيش حالة تقمص، وعقله يجعله يتخيل أنه يعيش حياة شخص آخر.

يا إلهي الأمور بدأت تتشابك بعقلي، أكاد أجن.

هنا، وبينما أنا أفند الأمور، جاءت الخادمة لتخبرني بأن الطبيب علي طلال يقف خارجا.

هززت رأسي، وأنا أتأوه قائلة:

- جاء في وقته.

وفور جلوسه بعد أن ألقى التحية، قال:

- أعتذر عن الزيارة المفاجئة، يبدو أنك لم تشعري وأنتي تقومين بالاتصال علي.

وأعتذر مرة أخرى لأنه، عندما رددت على الهاتف سمعت صوت الصراخ، وحديثك مع زوجك، واعتقدت أنها إشارة منك مرة أخرى

هنا انتبهت لهاتفي، وقلت له:

- أنا التي أعتذر كثيرا، لا تهتم كثيرا يا دكتور لقد جئت بوقتك، فهناك العديد من الأمور التي استجدت، وأحتاج كثيرا لمساعدتك.

شرحت للطبيب كل ما حصل معي مع العم عرفة حارس تلك البناية، وتاريخ تلك الشقة، وأيضا قلت له كل ما حدث قبل دقائق مع عمي وصقر، والحالة الغريبة التي رحل على إثرها والد زوجي

وركزت كثيرا بحديثي على أمرين، أولها طريقة حديث صقر مع والده وهو يقول له:

«سليمان يا راعي التاكسي».

واسم بدرية الذي تردد أكثر من مرة، بعد حالة صقر الغريبة، مرة ذكره في قسم الشرطة، ومرة بحادثة السكين عندما قال: "أعرف جيدا أن بدرية وراء كل هذا".

راح الطبيب علي طلال يهز رأسه، كأنه يفكر بشيء ما، وقال:

- الأمر يحتاج منا أولا الى معرفة اسم «أبو جاسم» قتيل تلك الشقة كما ذكرتي، لأن هناك العديد من الأمور التي من الممكن كشفها في حال معرفتك اسمه.

وأكمل:

- هناك أمر مهم آخر سأساعدك به، وأعتقد لو أننا كشفناه نستطيع من خلاله تأكيد حالة التقمص التي يمر بها زوجك صقر، واكتشاف الشخصية الثانية التي يعيشها.

قلت له:

- ما هي ؟

قال وهو يخرج ذلك الدفتر الصغير من جيبه ويدون بعض الملاحظات:

- تاريخ وقوع الجريمة بالضبط، هذا الأمر من الممكن اكتشافه من خلال الصحف، وعلى ما أظن أنها نشرت هذه الحادثة في ذلك الوقت، لأن جرائم مثل هذه لن تمر بسهولة على الصحافة.

أخرج هاتفه المحمول، وهو يضغط على الأزرار:

- مساء الخير طارق، ثم راح يتحدث عن حالة صقر ويقول له قصة الشقة، والتوهان الذي نحن فيه.

على ما يبدو أنه أحد الصحفيين - كما هو واضح من صيغة المخاطبة - الذين يعملون بإحدى الصحف المحلية الكبيرة، وهذا ما تبين من خلال حديثه.

أغلق الهاتف وهو ينظر لي بابتسامة صغيرة قائلا:

- زميلي طارق صحفي يعمل بجريدة ال...، ومن الممكن أن يساعدنا كثيرا، ووعدني بأنه سيبحث بالأرشيف عن تلك الجريمة، وسأرسل له بعد قليل عبر "الواتس اب" التواريخ التقريبية التي حصلت بها الحادثة، ومن حسن الحظ أن الأمر حصل قبل الغزو بقليل أي أن العملية ستكون سهلة، الخوف الوحيد أن تكون تواريخ تلك الأعداد قد أتلفت أو ضاعت بسبب الحرب.

نظرت له وأنا كلي امتنان على ما يفعله لي، هناك بشر يخرجون لك فجأة وأنت تقبع بتلك الحفر العميقة، ثم يأخذون بيدك وينتشلونك من هذا الواقع المرير، للأسف هذه النوعية قليلة وربما نادرة، وعلى ما أعتقد أنها في طريقها للانقراض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

لا تظن يا صديقي أنني المعذبة والمضطربة والتائهة الوحيدة التي تجول بهذه القصة، بل هناك كثيرون مثلي، يبحثون هنا، ويجولون هناك مضطربين وخائفين، ويفتشون عن تلك الحقائق التي تاهت، بل هناك من بدأ يكسر تلك البيضة التي دخل بها رغماً عنه وهو الآن يريد الخروج.

بعد يوم من ليلة محاولة اعتداء زوجي علينا بالسكين، استيقظت على صوت أحدهم يبكي، كان بكاؤه عاليا حتى إنه كان ينحب بشدة، حتى شعرت أن لو استمر أكثر من دقيقة فإن روحه ستخرج من جسده.

فتحت إنارة "الأبجورة" الصغيرة التي بجانب رأسي، رحت أدور برأسي في الغرفة أبحث عن ذلك الصوت، وكما توقعت إنه صقر، هذه المرة بصورة مختلفة، ولا أعلم لماذا يبكي بهذه الصورة التي جعلتني أتعاطف معه.

ذهبت ناحيته وجلست بجانبه على الأريكة الصغيرة، ورحت أربت على كتفه، وسألته عن سبب كل هذا البكاء الحزين، فنظر لي وعيناه قد اغرورقتا بالدموع قائلا:

- سامحيني يا داليا، لقد عذبتك كثيرا معي، وجعلتك تمرين بالعديد من المتاعب، صدقيني لا ذنب لي لما يحدث ولا أعرف لماذا أتصرف هكذا.

نظرت له بدهشة مع بعض من السرور قائلة:

- هل أنت تعي ما تقوم به من تصرفات غريبة؟

قال لي بعد أن كفكف دموعه:

- بعض الأحيان أشعر أن هناك شيئا ما يجبرني على فعل تلك الأمور، أذكر بعد ليلة المخفر، كنت مدركا أنني أتحدث بطريقة غير مألوفة، حتى أنني أعرف تلك العائلة التي عشت معها في زمن ما يوم ما.

قاطعته بلهفة:

- هل تقصد مريم؟

جاوبني بصوت منخفض:

- نعم مريم والأولاد، وهناك العديد من الشخصيات التي لن تعرفيها أبدا، يبدو أن هناك من سكن هذا العقل في زمان ما، واليوم هذه الذاكرة تتجسد بي.

- يعني الآن أنت ستتحدث عن العديد من الأشياء التي ستحل كل هذه القضية، وتكف عن تلك التصرفات التي جعلتنا جميعا نشعر بأنك وصلت حدّ الجنون.

رد علي بقليل من الحذر:

- ربما.

كنت فرحة كثيرا، أتمنى لو أعانق صقر ليلة كاملة، وأبكي على صدره، أشكو له كل تلك الليالي التي عانيتها، وتلك المشاعر التي اختلجت بصدري، وأقول له إنني اشتقت لتلك الروح التي احتوتني، اشتقت لذلك القلب الذي يمنحني الراحة.. اليوم حبيبي يعود لحالته الطبيعية، لم يتبقَ لنا سوى معرفة الحقيقة.

قال لي:

- كل ما أتذكر وأنا في تلك الغيبوبة، هي الأطياف التي كانت تزورني، تلك المرأة التي كانت تأتيني بفستانها الأبيض الملطخ ببقع من الطين والأولاد، كانت تردد اسمي، قائلة:

«الوعد حان.. والقصة تعود».

كنت أرى في تلك الغيبوبة جسدي الممد على الفراش بالمستشفى وأراكم وأنتم جميعا ملتفين حولي، وكأن جسدي يسبح بتلك الغرفة وهو بحالة هلامية، كنت أسمع حديثكم، وبنفس الوقت أنتم لم تستطيعوا سماعي.

مرات كنت أشاهد وجهي من ناحية تلك "الوحمة" ملطخة بالدماء النازفة، ومرات أرى جسدي قد دفن بالتراب ولم يظهر منه سوى جسدي، حالة من الضياع التي أعيشها وقت تلك الغيبوبة.

عقلي مشوش كثيرا وبه العديد من الأشياء المبعثرة.

قلت له وأنا أضع يدي بيده:

- لا عليك، سنجد حلا لذلك كله، ما أريده الآن أن تحكي قصة عالمك الآخر الذي قلت إنك كنت تعيشها في زمان ما.

قال لي:

- سأحكي كل شيء، وكل ما يحمله ذلك العقل وأتذكره، لأنني الآن أميز بشكل دقيق بين تلك الأزمان، وكل ما أريده منك فقط معرفة أن كل ما أقوله حقيقي، لأنني أتذكره جيدا.

وبينما هو يتحدث، وضع يده على رأسه بشكل مفاجئ مثل كل مرة وراح يقول:

- رأسي يؤلمني بشدة، أشعر بدوار.

قلت له حاول أن تتماسك قليلا.

ومن شدة الآلم تمدد على الأرض وهو يتحرك يمينا ويسارا، واضعا يده على رأسه.

لا أعرف كيف أتصرف بمثل هذه الأمور، حاولت مساعدته بالنهوض، لكن شدة الألم قد ثبتته أرضا، ثم قال:

- ماء.. أريد بعض الماء.. أشعر بعطش شديد.

رحت مسرعة نحو الثلاجة الصغيرة، وأخرجت منها قنينة ماء، وعند وصولي فوجئت أن صقر فقد وعيه.

تنهدت وأنا أشعر بغيظ وحسرة، كوني كنت قريبة من معرفة الحقيقة، وأنا أضع يدي على رأسي، وأردد بداخلي "لم أعد أحتمل أكثر من ذلك".

مرت الساعات بعدها ثقيلة وأنا أنتظر نهوضه مرة أخرى.

حلّ الصباح وأنا جالسة على تلك "الأريكة" أنظر الى جسد صقر المدد، حتى قطع رنين هاتفي حالة الصمت والهدوء المتعب.

نظرت للشاشة المتصل.. الطبيب علي طلال، وكانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا.

- اعتذر عن الاتصال بهذا الوقت، لكن الوضع لا يحتمل التأجيل كثيرا، عرفت من هي العائلة التي يتقمص شخصيتها زوجك صقر..

قالها الدكتور علي طلال بحماس شديد.

دخل الطبيب إلى البيت وهو يحمل بيده ظرفا متوسط الحجم، ثم أخرج منه بعضا من القصاصات، تعود لصحف قديمة.

وفرد إحداها على الطاولة التي تتوسطنا، ثم قال:

- هذا الخبر الذي نشرته الجريدة عن تلك الحادثة التي حصلت بذلك الوقت في تلك العمارة.. وكان المانشيت الرئيسي للخبر:

«جريمة بشعة تهز حولي»

وتحت المانشيت كتب هذا العنوان الآخر:

«اختفاء الزوجة والأولاد بظروف غامضة»

قاطعني الطبيب قائلا:

- دققي في التاريخ 1/8/1990، أي قبل الغزو بيوم واحد.

هززت رأسي ورحت أقرأ محتوى الخبر...

«استفاقت منطقة حولي على جريمة بشعة بعد قيام زوجة بقتل زوجها والهروب مع أولادها»

طبعا كان هذا هو الخبر الرئيسي.. والذي لفت انتباهي اسم القتيل صقر مشاري، نفس اسم زوجي!

قلت للطبيب علي:

- اسم الضحية صقر، نفس اسم زوجي.

رد الدكتور:

- كما قلت لك، زوجك يعيش حالة تقمص فريدة من نوعها، نظرنا للصور التي كانت موجودة بقصاصة الجريدة، مثل صورة الجثة، وصورة العمارة بذلك الوقت.

هنا التفت الطبيب ناحيتي وقال كأنه اكتشف شيئا مهما، بعد أن وضع يده على صورة جثة المدعو صقر مشاري، وهو يقول:

- إنها حالة تقمص مذهلة، انظري لمكان إصابة المتوفى، بنفس مكان «وحمة» زوجك، إنه أمر مثير للغاية، هناك أيضا حالات تتحدث عن هذا الأمر وبالتحديد بالتقمص، عادة الإصابات التي على إثرها يموت الشخص وتنتقل للمتقمص، دائما ما تتشكل على هيئة «وحمات» بأماكن إصابتهم التي على إثرها ماتوا، وهو ما نجد أثره على وجه زوجك.

بقيت صامتة مذهولة مما يقول!

- لحظة تذكرت.

وبعدها رحت أقص على الطبيب ما حدث أمس بيني وبين زوجي، وحالة الإدراك التي تحدث بها زوجي.

هز الطبيب رأسه وهو يضع يده على ذقنه.. قائلا:

- كما توقعت، الحالة بدأت تأخذ مجرى آخر، صراع كبير يعيشه زوجك الآن بعقله، بين ذاكرته الماضية المتمثلة بصقر القتيل، وبين صقر الحالي، وكل منهما يحاول فرض سيطرته على عقله.

شعرت بقليل من الخوف وقلت:

- فما العمل يا دكتور لو فرضت الذاكرة القديمة سيطرتها على عقل صقر هل سنفقده؟

- نظر لي الطبيب بتوجس قائلا:

- أتمنى ألا يحدث هذا.

وبعدها أخرج ورقة صغيرة من جيبه وقال:

- هذا عنوان منزل أهل الضحية، وكان العنوان «العديلية، ق..، شارع..، منزل..».

قلت للطبيب:

- ما المطلوب مني الآن؟

قال:

كل ما عليك هو الذهاب لتلك العائلة، وكشف جانب من الحقائق، لربما هذا الأمر سيساعد في كشف أمور أخرى، والتي ستنصب من صالح زوجك.

لا أعلم لماذا شعرت ببعض من الخوف والقلق، الأمر يحتاج الى قليل من الشجاعة لمواجهة تلك الحقيقة، ومعرفة تلك الأسرار.

تذكرت صقر الذي لا يزال بحالة إغمائه، لماذا لا أنتظر قليلا حتى يستفيق ويقول لي كل ما حصل بتلك الأيام، كونه الآن يعيش بحالة جيدة من الإدراك.

مر اليوم كئيبا حزينا، أعيش من خلاله صراعا، الانتظار الذي يصاحبه الخوف والقلق، كالجرح الذي رش عليه حفنة من الملح، كم هو مؤلم وقاسٍ.

صديقي العزيز:

أعلم جيدا أنني أطلت عليك كثيرا بأحداث هذه القصة، وتأكد أنني كل ما ذكرته هو من صلب الموضوع، وحذف أي فقرة من الممكن أن تعقده، أريد فقط الإيضاح لا الإطالة.

اسمع إذن ما حصل بعد ذلك:

بنفس هذا اليوم، زارني عمي والد زوجي، الذي تركني ليلة البارحة وهو بحالة غريبة، بعد أن قال له زوجي تلك الجملة:

«سليمان راعي التاكسي».

دخل علي بحال متغيرة، ليس هذا وجه والد زوجي الذي أعرفه، كان مختلفا كثيرا، حتى لو أني لم أعرفه سأقول إن هذا الرجل حصلت له مصيبة.

وكعادته..

سأل عمي عن أحوال صقر، وكان صوته مختلفا وشعرت من نبرته أنه حزين ومتعب.

راح ينظر إلى الأرض وهو صامت.

ثم التفت وسألني:

- تعرفين مكان تلك العمارة التي ذهب لها صقر؟

فأجبته بأنني أعرفها.

غيّرت ملابسي، وذهبت مع عمي، وطوال الطريق لم يتفوه بأي كلمة، وحديثنا فقط يتمحور على وصفي لتلك البناية.

قبل دخولنا لمكان الشارع الذي تقطن به العمارة، شعرت أن عمي بدأ يسير بثقة تامة ناحيتها حتى توقف بأحد مواقف السيارات قائلا:

- هذه هي العمارة.

نظرت له والدهشة تملأ ملامح وجهي وقلت:

- كيف عرفت الطريق إلى هنا، وبهذه السهولة.

لم يرد عمي على تساؤلي، وراح ينظر لتلك البناية شبه القديمة، ثم وضع رأسه على مقود السيارة، وهو يهزه يمينا ويسارا، شعرت للحظة أنه يتحسر على شيء ما.

ثم ترجل من السيارة، وانطلق ناحية تلك الشقة الملعونة، ووقف عند بابها وهو ينظر لها أكثر من دقيقة، وبعدها عاد بخطوات سريعة واقفا عند باب السيارة ناحيتي قائلا:

- لا مفر من الماضي، مهما حاولت الهرب منه ستجده أمامك يوما ما، سواء كنت الضحية أو الظالم.

نظرت بعيون متسائلة لوجه عمي، محاولة فهم شيء من الذي يقوله، إلا أنه أكمل:

- نتألم عندما نتذكر الماضي الحزين، لكن ماذا نفعل عندما نراه يتجسد أمامنا!

عاد والد زوجي إلى مكانه، وراح يقود سيارته مبتعدا، عن تلك البناية.

- عمي، لمَ ذهبت بنا إلى تلك العمارة؟ ولماذا قلت ذلك الكلام؟

بدأت أشك أن هناك علاقة لما يحدث لصقر، وزيارتك الغريبة هذه!

قلتها، بينما والد زوجي كان ينظر بهدوء للطريق، وملامح وجهه تكاد تغرق بالحزن.

التفت ناحيتي، وأكاد أجزم بأن هناك دمعة قد هربت من عينيه، قائلا:

- بالفعل، هناك العديد من الأشياء التي تربط صقر بزيارتي هذه، الماضي يا داليا، ذلك الحمل الثقيل الذي ظننت أنني ارتحت منه، يعود مرة أخرى ليرتمي بكل ثقله على ظهري، عاد هذه المرة متجسدا بجسم صقر، وروح أبو جاسم، عاد لكي يلكم ذلك الجرح الذي اندثر، ويأجج فيه ذلك الألم، عاد لكي يذيب تلك الدمعة التي من المفترض أنها تجمدت بعيني منذ زمن بعيد.

بقيت صامتة ومندهشة من كلمات عمي ولم أقاطعه، وأكمل قائلا:

- منذ تلك الليلة التي حاول صقر الاعتداء علينا بالسكين، وأسلوب المخاطبة الذي راح يتحدث به معي، شعرت أن من يحدثني هو صقر الماضي «أبو جاسم».

يا إلهي! ان الأمر أغرب من الغرابة، كيف عرف صقر بكل هذه الأسرار، وهو لا يرتبط بها بأي صلة، كيف عرف هذه العمارة ومكان تلك الشقة، الحكاية تعود يا داليا بعد 26 عاما!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

هناك أشياء فينا دائما ما ترفض الفرح والراحة، وتأتي مرغمة من أجل إشاعة الحزن بعقولنا، هذا ما كان يقوله عمي..

قلت له وعقلي من الداخل يربط تلك الأحداث مع بعضها بعضا:

- هل تقصد أن صقر مرتبط بماضيك؟

أومأ عمي برأسه، بإشارة تؤكد أن تقمص صقر مرتبط بماضيه.

قلت له:

- كيف ذلك ؟

أوقف سيارته بجانب الطريق، والتفت ناحيتي قائلا:

- قصة طويلة يا داليا، والد زوجك الذي أمامك كان الصديق الصدوق لأبو جاسم، مالك تلك الشقة، أو القتيل الذي لم يعرفوا قاتله حتى الآن، أو صقر الذي يدعي زواجه من مريم، أو صقر ذلك «المطيرجي» أو صقر المشجع المتعصب لنادي القادسية، كلهم يتجسدون أمامي في ولدي صقر الذي هو زوجك.

ظل صامتا قليلا.. ثم أكمل:

منذ أن قال لي تلك الليلة:

«سليمان يا راعي التاكسي»، وأنا لم أنم وقتها، أفكر كيف عرف ذلك، هذا الماضي قد مات مع والداته، هي الوحيدة التي تعرف، مع من عاشروني في بداياتي بتلك الفترة، لكن أغلبهم لا يرتبطون معي الآن، بأي شكل من الأشكال.

رحت أفكر وأقلب حساباتي، واكتشفت تلك الأسماء، مريم وبدرية، ثم تذكرت عمارة حولي، وتأكدت اليوم أن الماضي يعود بعد زيارتي لها.

أبو جاسم كان صديقي الصدوق العزيز الذي أحكي له كل حكاياتي وأسراري، أعرفه من أيام المدرسة الابتدائية، وكان يسكن معي بنفس المنطقة، كنا متشابهين في كل شيء، ومتقاربين من الناحية الروحية، والذي كان يفصل بيننا أمران: الأول الواقع الاجتماعي، فهو من أسرة غنية، بينما أنا أسرتي عادية جدا وميسورة الحال، أما الأمر الثاني هي واقعية أبو جاسم وعفويته، على عكسي كنت حذر جدا بالتعامل مع من حولي، وأحسب للكلمة ألف حساب قبل أن تخرج من فمي.

كنت في أيام شبابي أتردد على بيته بشكل يومي، الذي تتوافر فيه أشياء من الصعب أن تجدها في بيتنا، صقر الماضي أو أبو جاسم، كان إنسانا متواضعا محبا للحياة، ويكره المظاهر بشتى أنواعها، شخصية مختلفة كل الاختلاف عن باقي أفراد أسرته، كما قلت بالسابق، فهو من محبي هواية تربية الحمام، التي حاولت أن أحبها، لكن وجدت نفسي لا أرتبط بها نهائيا، لكنني كنت أحاول أن أرغم نفسي على تقبلها من أجل صديقي، وعندما كبرنا قليلا، اكتشفنا أننا لدينا شغف آخر اسمه نادي القادسية، فكنا من المشجعين لهذا النادي بتعصب كبير، حتى أننا لا نترك أي مباراة إلا ونذهب لها.

كبرنا وكبرت صداقتنا وأحلامنا معا، إلا أن الحياة دائما تكون لها متطلبات أخرى، وهذا الشيء كان مختلفا، كلٌ على حسب حالته الاجتماعية، أنا بدأت أبحث عن عمل بعد أن توقفت عن الدراسة في الصف الثاني ثانوي، بسبب ضعف الدخل وبمحاولة مني لمساعدة والدي على مصاريف البيت الكبيرة، كوني أكبر إخوتي، بينما صقر أكمل دراسته حتى وصل للمرحلة الجامعية، ولم تكن لديه أي مشاكل أخرى سواء كانت مالية أو غيرها، بسبب وضعهم الاجتماعي الجيد.

حتى قام والدي بشراء سيارة أجرة، أترزق من خلالها، وقتها كانت هذه المهنة رائجة، وجيدة من ناحية الدخل، لكنها بالنسبة لعائلة صقر مخجلة، وكما قلت لك أبو جاسم لا يهتم كثيرا لهذه الشكليات، وكان يطلب مني أن أزوره بتلك السيارة البرتقالية كما يسميها، ونخرج بها إذا لزم الأمر، رغم امتلاكه سيارات أفضل وأحدث بكثير من سيارتي.

باختصار.. هذا قليل من الماضي، لكن الحكاية القديمة لم تبدأ بعد، فهذه البدايات فقط، القصة بدأت تدور عجلتها عندما دق قلبي، لتلك الفتاة البيضاء الجميلة، ذات الوجه الدائري الممتلئ، صاحبة العيون العسلية البراقة، والجسم المتناسق، وهي تخرج بشكل شبهه يومي من منزل صقر، عرفت بعدها أنها شقيقة أبو جاسم الوحيدة، لا أخفي عليك في البداية بدأت ألوم نفسي من الداخل كيف لي أن أتلصص بالنظر لتلك الفتاة، وأنا آكل وأشرب بهذا البيت، غير هذا فصقر وضع كل ثقته بي، لكن محاسبة الضمير وكل ما هو متعلق بها ينهار بمجرد مرور بدرية وهي متجهة لقيادة سياراتها.

قلبي تعلق بها تعلق رضيع للتوه عرف رائحة أمه، كنت أظن في البداية أن ما يحدث لي هو غرام شاب من الممكن أن ينتهي مع مرور الوقت، لكن اكتشفت أن الأمر قد وصل لمراحل كبيرة من الغرام، حتى أنني رحت أنتظر عند باب بيتها، متحججا بانتظاري لصقر، وطبعا كان كل هدفي هو رؤيتها، لا أعلم ما هو الشيء الذي يكون بداخلي يرغمني على فعل هذه الأشياء، ولا يرتاح حتى يراها.

تصوري أنني رحت أشتري ذلك العطر الذي يلتصق بأنفي عندما تمر بينما نكون جالسين بالكراسي الصغيرة التي وضعت بالحديقة، ورحت أرش به سيارتي كل يوم، حتى أشعر بشيء منها بقربي أو يذكرني بها، وبمجرد استنشاق ذلك العطر يهدأ كل ما فيني، لا أعرف ما العلاقة بين الأنف والقلب، لكن كنت متأكدا من أن هناك علاقة قوية.

لم أعطِ للوقت ونفسي أي فرصة للتفكير الطويل، خاصة من ناحية الفوارق الاجتماعية، حتى أقدمت على تلك الخطوة لحسم هذه الأمور، وإنهاء ذلك الصراع الذي يدور بعقلي، تعلقي ببدرية، وصداقتي مع صقر، والخطوة متمثلة بتقدمي لخطبتها، وطبعا أول شخص سيعرف هذا الأمر هو الصديق العزيز أبو جاسم.

ووجدت بنفسي وقتها أنني العريس المثالي، الذي تتوافر فيه كافة المواصفات، أو كما نحن نقولها: "جيبه مليان".

تقدمت وطلبتها رسميا من يد شقيقها صقر، أتذكر وقتها كمية الإحراج الكبير، وتأتأة الكلام والتردد، وأتذكر ايضا وجه صقر الذي تغير كثيرا عندما علم بطلبي، وأتذكر جملته التي لا تزال حتى الآن برأسي:

«أنت تطلب الكثير يا سليمان».

لم أفهم وقتها معنى تلك الجملة، لكن مع مرور الأيام عرفت ماذا يقصد.

أبدى أبو جاسم عدم ممانعته، بل رحب كثيرا، وقال لي إن الرأي الأخير والنهائي سيكون بيد شقيقته بدرية، والرد سيأتي لك خلال اليومين المقبلين، واشترط علي ألا يؤثر الرد سواء كان بالرفض أو القبول على صداقتنا مهما كان.

وافقت على كل شروطه، وكنت متلهفا كثيرا لردها، الأمر الوحيد الذي لم أجد له أي تفسير هي حالة التفاؤل الكبيرة التي كانت تنتابني طوال الوقت.

أخذ والد زوجي يا صديقي العزيز تنهيدة كبيرة، قبل أن يكمل حكاياته، ونظر لي بحسرة، وأكمل قائلا:

- الطيبون هم أكثر الناس خيبة بهذه الحياة، لأنه دائما ينظرون للحياة بطريقة مختلفة، وينتظرون ردة فعل مشابهة لطباعهم، لكن دائما ما يكون الواقع شيئا مختلفا، شيئا يدمر كل حالات التفاؤل التي فيهم وبالتحديد ما حصل لي.

كعادتي.. كنت واقفا أنتظر موعد خروج صقر، وطبعا هي الحجة التي أتذرع بها من أجل مشاهدة بدرية، هذه المرة كان الأمر مختلفا.

عندما غيرت بدرية مسار خطواتها، واتجهت نحوي، كان الأمر أشبه بالحلم في البداية، تظاهرت بعدم وجودها.

- أنت المدعو سليمان.

قالتها بدرية بطريقة مستفزة وهي تمد سبابتها ناحيتي، وعندما وضعت عيني بعينها رأيت ذلك التكبر والغرور والغطرسة التي لم أكن أشاهدها من قبل.

جاوبتها ببعض من الارتباك محاولا الاعتدال.

- نعم أنا هو.

ردت علي وهي تكمل انفعالها المفاجئ ناحيتي:

- يبدو أنك لم تعرف قدرك حتى الآن، كيف تتجرأ وتتقدم لخطبتي، أنت لا تعرف «إحنا عيال حمايل».

لا تنظر كثيرا لما هو أعلى منك، وأنت تعرف ماذا يحصل إذا نظرت كثيرا لما فوقك، من الممكن أن تنكسر رقبتك، حاول أن تختار ما يناسبك.

«ما بقى إلا راعي التاكسي».

قالت تلك الجمل ورحلت، لم أتفوه بأي كلمة، بقيت مكاني، ألملم شتات كرامتي التي تبعثرت أمامي، تمنيت الأرض تبتلع البشر الذين على شاكلتي وبمثل موقفي، عرفت الرد بطريقة مسّت كل الأحاسيس التي فيني، عرفت أنني من الطيبين الذين يكافؤون بالخيبات.

بعدها بيوم زارني صقر، واعتذر كثيرا لما حصل، وبين لي أنه كان يعرف الجواب والرد منذ اللحظة التي تقدمت بها، ويعرف من هي شقيقته، وكيف تنظر للناس بفوقية مختلفة، لكنه فوجئ بطلب تقدمي لخطبتها، وكان في موقف محرج لا يحسد عليه، لأنه لو قال لي إن شقيقتي متعجرفة، ستفهم على أنها محاولة مني لرفضك بطريقة مؤدبة، فلم يجد وقتها إلا اتخاذ الطرق الطبيعية بالزواج، حتى إنه فوجئ بردة الفعل التي قامت بها أخته بدرية ناحيتي.

قبلت عذر صقر، لأنني أعرفه جيدا، وأعرف أيضا مَن هو من الداخل، إلا أن الأمور قد تغيرت بعد ذلك، وغيّرت طريقة حياتي، وبالفعل أخذت بنصيحة بدرية، وتزوجت بامرأة من مستواي، ذلك الموقف قلب حياتي رأسا على عقب، جعلني أنظر للحياة بطريقة مختلفة، أيقظت بداخلي أشياء كثيرة، وبعد عامين من تلك الحادثة، والتي قلت بها زياراتي لمنزل صقر، حتى أصبحت لا أراه بالشهور، وما أعاد العلاقة مرة أخرى بيني وبينه، سكنه بالعمارة التي أسكن فيها، عندما وجدته يقوم بإنزال حاجياته، وبعدها عرفت أنه تزوج دون

علم أهله من امرأة من جنسية عربية بعيدة، وعندما واجههم طردوه كونها لا تناسبهم.

بصراحة وقفت مع صقر، ولم أتخلَ عنه، ولم أعامله بطريقة شقيقته، وكما قلت لك، الدنيا تدور، والحكاية لم تنتهِ، كنت وقتها للتو أخطو خطواتي الأولى في عالم العقار، لكن الحكاية انقلبت أحداثها بشكل مختلف، وبالتحديد ذات ليلة، عندما كنت خارجا من شقتي بتلك البناية، ليفاجئني صوت أعرفه جيدا جاء من خلفي، وعندما التفت وجدت بدرية واقفة بكامل أناقتها، وجمالها الذي سحرني بالسابق قائلة:

- أتمنى ألا تكون مشغولا بهذا الوقت.

نظرت لها لأصاب بذلك الشعور والارتباك الذي حصل تلك الليلة التي جرحت بها كرامتي، لأتدارك الموقف قائلا:

- هل تحتاجين لأي مساعدة ؟

نظرت بغرورها المعتاد وقالت:

- بالفعل أحتاج الى مساعدتك، لكن هذا المكان غير مناسب جدا، أتمنى أن تزورني غدا بمكتبي.

ومن ثم أخرجت بطاقتها، وقالت:

- عنواني موجود بالبطاقة، أتمنى رؤيتك، فالموضوع بغاية الأهمية.

ورحلت بسرعة، كما جاءت بسرعة..

لا أعلم لماذا يثق المتكبرون جدا من تصرفاتهم، ويعلمون جيدا أن هناك من ينفذها دون تردد؟!

وهذا ما فعلته بالفعل، وفور وصولي, لأجد تلك العيادة التي كتب عليها

«عيادة الدكتورة بدرية.. للطب والاستشارات النفسية الحديثة».

جلست وبالكاد كنت أتنفس من شدة روائح الأثاث الجديد.

ولم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى أدخلتني الموظفة..

الرهبة نفسها هي من تتملكني عندما أشاهد عيني بدرية، لا أعلم ما السحر الذي بداخلهما.

ومن دون مقدما قالت:

- تعلم جيدا أن صقر يسكن معك بنفس العمارة، وتعرف أيضا أنني غير موافقة ورافضة تلك الزيجة، إلا أن صديقك «راسه يابس» ورفض كل الإغراءات التي وضعناها أمامه من أجل تطليق تلك الفتاة، التي يبدو أنها سحرته، المصيبة أنه أنجب منها طفلان، وهذا الأمر يضعني في موقف ضعيف، خاصة أن والدتي من حين لآخر تضعف وتتمنى مشاهدة صقر وأبناءه.

قاطعتها قائلا:

- وما المطلوب مني؟

أخرجت ورقة بيضاء عرفت أنها شيك بنكي.. وقالت:

- أكتب أي رقم تريده بهذا الشيك، ولك ما تتمنى، فقط تقوم بما أطلبه منك!

نظرت لها مندهشا محاولا استيعاب ما تقول..

- أنت تعرف صقر يثق بكلامك كثيرا، مهمتك سهلة جدا، وبعدها تحصل على الكثير من المال، وتخرج للدنيا، ومن الممكن...

ثم صمتت لثوانٍ ثم أكملت:

- تذكر ذلك الطلب الذي طلبته من أخي قبل أربعة أعوام؟

انتابني شعور غريب من داخلي وهي تتحدث عن ذلك الطلب.

وأكملت وهي تبتسم بخبث:

من الممكن أن أوافق عليك، والمعلومات التي لدي تؤكد أنك الآن تاجر صغير في العقار، أهنئك على هذه الخطوة، فهي على كل حال أفضل من تلك التاكسي البرتقالية.

وقفت بسرعة وكلي غضب واضعا يدي على أطراف مكتبها.

لكنها قاطعتني:

- قبل أن تريني شهامتك، شجاعتك ومروءتك، فقط فكر جيدا، كل ما أريده أن تقول لصقر، إن زوجته تخونه مع شخص آخر، واترك الباقي علي، كل الدلائل موجودة، الرسائل والصور، فقط ضع تلك الجملة بأذن أخي، أما الباقي أنا من ستتكفل به.

هذه المرة صمت وجلست أنظر لها وأنا من داخلي يغلي، بينما كلماتها الساحرة، تقوم بمفعولها بداخلي.

وأردفت حديثها:

- لا أريد أي رد الآن، سواء بالرفض أو القبول، الآن خذ هذا الشيك ودعه معك وفكر، أنت تاجر، ولابد أن تملك مهارات التجار بعدم التسرع، اعتبر هذا الشيك هي الصفقة الكبرى في حياتك والأولى، فكر أن هناك العديد من الفوائد التي من الممكن أن تنصب عليك، وطبعا منها أنا، فأنت كما تعلم أنني لم أتزوج حتى الآن.

خرجت من عندها وأنا أمسك بيدي الشيك، وذهبت لشقتي، أقلب الأمور برأسي، أفكر بمستقبل ذلك الولد الذي ينتظر دوره بالحياة، وهو على بعد أسابيع من دخوله معتركها، وأقصد بذلك زوجك، الذي كان ببطن أمه وقتها، وأفكر أيضا بذلك القلب الذي لايزال متعلقا بعيني بدرية، أصبحت بين نارين وكماشة.

مر يومان، ثم تبعهما أسبوع كامل وأنا أقلب الأمور برأسي وأحسب لها ألف حساب، صراع كبير بداخلي يتأجج بين قبولي للمهمة السهلة بتنفيذها والكبيرة بنتائجها، التي ستنتهي بهدم عائلة كاملة.

كانت خلال تلك الفترة بدرية تزورني من حين لآخر، بينما كان الألم يعتصرني عندما أرى صقر وأبناءه وزوجته يعيشون حياة هانئة سعيدة.

قبل أسبوع من حادثة وفاة صقر المفاجئة، جاءتني بدرية، وهي تحذرني وتقول: أمامك يومان، إما التنفيذ أو إلغاء كل هذه المهمة، وإرجاع ذلك الشيك، لأنني الشخص الوحيد القادر على تنفيذها، ثم بعد ذلك أخرجت من حقيبتها مسدسا، فوجئت به، وتراجعت للخلف، والدهشة تملأ قلبي!

- إذا لم تنفذ ما قلته لك سأقوم أنا بقتل تلك الملعونة بهذا المسدس المذهب، وتقصد بذلك مواصفات السلاح الذي بيدها الذي على ما أظن كان مطليا بالذهب، كونه كان براقا ومختلفا بتاتا عن الأسلحة التي رأيتها بحياتي.

قالتها والشرر يتطاير من عينيها، لم أعلم أنها تحمل كل ذلك الحقد.

طبعا كنت لا أزال متأرجحا في قراري، قبل وفاة صقر بأسبوع واحد زارني شقتي وكان مهموما، وراح يقول لي إن أهله لن يرتاح لهم بال إلا بتطليق زوجته مريم.

لم أتفوه بأي كلمة وقتها، كنت أنظر له بعطف وخوف.

وراح صقر يقص علي تلك الحكايات التي قامت بها عائلته من أجل تطليق زوجته، خاصة أن عائلته طلبت منه الرحيل من الكويت والهجرة مع زوجته، لأن وجوده معها هنا يسبب لهما حرجا اجتماعيا.

بعدها بثلاثة أيام علمت أن صقر قد انتحر بعدما ضرب نفسه بطلق ناري برأسه، وبسبب انشغالي بميلاد زوجك لم أهتم كثيرا لغياب صقر، وعندما عرفت حزنت كثيرا، وفهمت أن صقر فضل الانتحار، لكن غياب زوجته بعد مصرعه أثار العديد من التساؤلات، هل بالفعل أبوجاسم مات منتحرا، أم قتلته زوجته وهربت.

هنا قاطعته قائلة:

تقصد أن زوجي صقر، ولد بعد يومين من مقتل صقر "أبو جاسم"؟

وضع يده على رأسه محاولا تذكر شيء ما.. وقال:

- أعتقد أن صقر زوجك ولد بنفس اليوم الذي قتل فيه صقر «أبوجاسم»، وهو ما أثبته الطب الشرعي.

مهلا أتذكر ذلك، بعد يوم من ولادة زوجك أسميته عبدالله، وبعد مرور يومين غيرت الاسم إلى صقر، اليوم الذي اكتشفوا جثة صقر "أبو جاسم"، تخليدا لأعز أصدقائي، فهذا أقل جميل أرده له.

قلت له مجددا وأنا مترددة قليلا:

- عمي من قتل صقر "أبو جاسم"؟ هل...

نظر لي عمي وهو شارد الذهن، ولم ينطق بأي كلمة، ثم قام بتشغيل السيارة وانطلق عائدا بي إلى المنزل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

صقر كما هو عليه عندما تركته آخر مرة، غارق في إغمائه، بقيت أفكر مليا بتلك الأحداث التي حصلت طوال تلك الأيام، ما بين الماضي والحاضر، وما سيقدمه لنا المستقبل.

قطعت وصلة التفكير بحالة زوجي بعدها حاولت إيقاظه، لكن كل ما محاولاتي باءت بالفشل، بدأ القلق ينتابني، نظرا للفترة الطويلة التي لا يزال فيها زوجي بلا حراك!

لابد من الاستفسار عن وضعه، ولا يوجد إلا الطبيب علي طلال.

- ألو.. الوضع غير مريح يا دكتور، زوجي لا يزال مغمى عليه أكثر من 10 ساعات.

قلتها بحزن شديد وقلق!

أكد الطبيب أنه قادم للكشف عليه، وعند وصوله راح يتفحصه من كل جوانبه، ثم نظر قائلا:

- يبدو أن زوجك دخل في غيبوبة مرة أخرى.

هززت رأسي متأففة.. قائلة:

- ليس الآن يا صقر، الحكاية تكاد تنكشف نريد معرفة من قام بقتل ذلك الصقر الذي عاد عقله ينبض مرة أخرى بدماغك.

نظر لي الدكتور مستفسرا:

- يبدو أن هناك أمورا قد استجدت في الحكاية؟

هززت رأسي مؤكدة ما يقول، بعدها حكيت ما قاله عمي.

نظر الطبيب لي قائلا:

- هناك مهمتان لابد من القيام بهما الآن..

الأولى نقل صقر للمستشفى من أجل زيادة الفحوص والاطمئنان على حالته، أما الثانية الذهاب لعائلة صقر "أبو جاسم" الذين يسكنون بمنطقة العديلية والجلوس مع أهله، لعل وعسى نكتشف أمورا جديدة تفيدنا في حالة صقر.

لم أتردد كثيرا ووافقت مسرعة على طلب الدكتور.

وبالفعل أدخلنا صقر المستشفى وبقيت معه طوال الليل، واتفقت مع الطبيب علي طلال على الذهاب صباح اليوم التالي لمنزل عائلة صقر "أبو جاسم".

أخبرنا الأطباء أن صقر لا يزال يعاني، ويبدو من الفحوص الأولية أنه دخل في حالة غيبوبة أخرى، وكما هي العادة لا يعلمون متى سيفيق منها.

يبدو أنني اعتدت على تلك الأحداث، رحت طوال الليل أفكر بطريقة تساعدني على اكتشاف تلك الحقائق المتعبة، ومعرفة ما هو الطريق الذي سيساعدني في عودة زوجي لحالته الطبيعية.

وفي اليوم التالي.. وصل الطبيب علي في موعده المتفق عليه، وانطلقنا مسرعين إلى العنوان المطلوب.

أذكر جيدا يا صديقي حالة الخوف والقلق التي شعرت بهما وأنا أقف عند بيت عائلة صقر "أبو جاسم".

ذلك القصر الكبير، الذي يبدو عليه للتو أنهم أعادوا ترميمه.

طلبت من الخادمة منادات بدرية، وبالفعل ما هي إلا دقائق حتى جاءت، وأول ما لفت انتباهي تلك العيون، التي تؤكد أن هذا الوجه كان يخفي خلف أطلاله شيئا مثيرا، واليوم التجاعيد هي ما تخفي هذا، مع محاولات منها بتغطيتها ببعض من المساحيق.

- هل أستطيع مساعدتك بشيء؟

قالتها بدرية مستفسرة..

قلت لها بعد أن أفقت من شرود الذهني وأنا أربط حكاية عمي والد زوجي بوجهها.

- أنا زوجة صقر.

لا أعرف لماذا بدأت حديثي بهذه الجملة..

شعرت من خلال وجهها ببعض من الدهشة والخوف.

قالت لي بكبرياء:

- انتي مريم.

حاولت تدارك الموقف.

- لا.. لا.. انا.. إنك فهمتيني بشكل خاطئ.

أتمنى الجلوس حتى أوضح لك بعض الأمور.

شعرت أنها تريد القيام بطردي، وكان واضحا ذلك من خلال ملامح وجهها.

- حكاية صقر القديمة ماتت معه منذ 26 عاما.

قالتها بصرامة..

قلت لها:

- الماضي يعود متجسدا بجسم زوجي، عقل أخيك سكن عقله، كل ما أريده منك بعض المعلومات، من أجل إنقاذ صقر، الذي أفقده يوما بعد يوم، أنت تعلمين أن هناك جريمة لم يعرف حتى الآن من منفذها.

قالت لي بغرور:

- الأمر لا يحتاج لذكاء كبير، زوجته قتلته وهربت، يالها من محظوظة، الغزو العراقي أنقذها من حبل المشنقة.

قلت لها محاولة إيجاد طريقة لإثارتها:

- أنتِ لم تفهمي حتى الآن، أقول روح شقيقك تعود بجسد زوجي.

قاطعت حديثي وهي تقف قائلة:

- أعتذر لا أستطيع مساعدتك بأي شي، أعتقد أن الزيارة قد انتهت.

- كما قالي عمي أبو صقر انتي امرأة عنيدة ومتعجرفة، حياة شقيقك تدمرت كلها بسببك.

أفرغت جام غضبي دون أي شعور.

نظرت لي مذهولة من ردة فعلي، وقامت تصرخ بصوت عالٍ:

- الآن تخرجين من بيتي، إلا طلبت لك الشرطة.

أكملت فورة الغضب بها:

- «حوبة شقيقك صقر لن تتعداك»..

في هذه الأثناء خرجت إمراة جالسة على كرسي متحرك، واقتربت منا ونحن بهذه الحال قائلة:

- هل عاد صقر مجددا ؟

نظرت لي بدرية ثم تقدمت نحوي محاولة دفعي ناحية الباب الخارجي، في هذه الأثناء رن هاتفي النقال، كانت المكالمة من عمي والد زوجي.

- داليا زوجك صقر قد هرب من المستشفى.

صرخت بصوت عالٍ قائلة:

- صقر.. كيف ذلك؟

نظرت لي المرأة الكبيرة بالسن وقالت:

- هل تقصدين صقر ابني؟

عاودت نظري لبدرية ومن ثم أدرت عيني لتلك العجوز، وأدركت أنها والدة صقر المتوفى.

حاولت بدرية تدارك الموقف مجددا لإنهاء هذا المشهد الدرامي المعقد، وهي تطلب مني مرة أخرى الخروج، وعيناي تنظران لتلك العجوز، وأنا أعرف بداخلي أنها تقصد صقر "أبو جاسم".

رن هاتفي مرة أخرى، نظرت للمتصل.

«عرفة شقة حولي».

- مدام داليا زوجك جنه جنونه واقف أمام باب الشقة وهو يحاول كسرها، لا أريد أي مشاكل، ولم أخبر الشرطة لأنني أعرف حالته، أتمنى حضورك حالا.

كانت كل من بدرية ووالدة صقر ينظران لي وأنا أتحدث مع العم عرفة، وأذكر شقة حولي واسم صقر.

خرجت من عندهم مسرعة، وبعدها قمت باتصالاتي المعتادة على كل من عمي والد زوجي، وانطلقنا أنا والطبيب علي طلال مسرعين إلى عمارة حولي.

طوال الطريق كنت أفكر ما الذي سأفعله مع صقر، هل أحوله لمستشفى الطب النفسي وأبقيه عندهم من أجل معالجته، وبعدها أتذكر كلام عمي والد زوجي الذي لا يريد الفضائح.

وعند وصولي لبناية حولي، رأيت يا صديقي الموقف الذي لن أنساه طوال حياتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

16

أمامي الآن ذلك الباب الخشبي المتهالك، وهذه المرة كان مفتوحا، وقفت لدقائق قليلة أمامه مترددة بالدخول، قبل أن أنادي العم عرفة، لكن لم تكن هناك أي إجابة منه.

لم أجد أمامي أي حل، وما أثار خوفي ذلك الباب المفتوح، وهي المرة الأولى التي أراه بهذا الوضع، كان الهدوء سيد الموقف، تقدمت خطوة إلى الأمام، تذكرت تلك المرأة التي تحدثوا عنها، وظهورها المتكرر بهذا المكان، بذلك الوجه الشاحب، والثوب الملطخ، لأشعر بخوف شديد، خوفا من أن تفاجئني بهذا الوقت، تحليت ببعض من الشجاعة وأنا أغمض عيني وأتقدم بخطوة ثانية، وعقلي يردد من داخله هذه المرأة مجرد وهم..

بدأ الخوف المسيطر علي يتلاشى رويدا رويدا مع كل خطوة أقوم بها، أسير متجاوزة تلك الغرف، حتى وصلت إلى آخر غرفة بالشقة، كان بابها مغلقا، وما دفعني لدخولها، ذلك الصوت الذي يصدر منها، لا أعلم هل هي أنفاس، خشخشة، نمنمة، العديد من الأصوات التي تدافعت من تلك الحجرة، وضعت رأسي على بابها محاولة تحديد نوع الهمس، لكن لم أستطع تحديد ما هو.

وضعت يدي على مقبض الباب، كنت أرتجف متحفزة لأي صدمة سأشاهدها بذلك المكان، ربما هي المرأة تنتظرني الآن، لا أدري رأسي تدور به العديد من الأفكار والتخيلات المفزعة.

دفعت الباب بهدوء ليصدر ذلك الصرير الذي نسمعه دئما بأفلام الرعب، ما زاد الموقف أكثر رعبا، لأتقدم بعدها بخطوات ثقيلة وأدخل بكامل جسمي لتلك الغرفة، ليذهلني ذلك المشهد الذي رأيته، هذا آخر شيء كنت أتوقعه، ماذا يفعل هذا المجنون!

ما شاهدته كان بمثابة الصدمة، زوجي صقر يجلس على ركبتيه في طرف الحجرة، ويقوم باقتلاع قطع بلاط الأرضية واحدة تلو الأخرى، وكان يحفر بكلتا يديه بسرعة كبيرة، وما أذهلني أكثر وجود جسد العم عرفة ممددا بجانبه، كان الأمر أشبه بالحلم الذي لم أتوقع حدوثه.

ناديت صقر والذهول يحيط به من كل جانب:

- ماذا تفعل؟

رد وهو منهمك بالحفر:

- هنا سنجد الحقيقة!

بقيت بعدها صامتة أنظر لصقر، وهو يحفر ويخرج ذلك الرمل ويبعد قطع البلاط القديمة عن بعضها بعضا.

هنا ذهبت للعم عرفة محاولة الاطمئنان عليه..

آه، تنهدت بعمق كبير وأنا أضع يدي على قلبي وأردد بداخلي:

- لا يزال العم عرفة يتنفس.

قلت لصقر بغضب:

- ماذا فعلت بالرجل؟

لم يكترث أبدا لوجودي وراح يكمل حفره.

في هذه الأثناء دخل والد زوجي ومعه الطبيب علي طلال، ليتفاجآ مثلي بما يحصل، قال عمي:

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟

لم أجاوب عمي، لأنني أنا نفسي لم أعرف ما سبب ذلك الحفر.

توجه والد زوجي ناحية صقر يحاول إيقافه، لكن صقر دفعه بقوة، وقال:

- لن أرتاح حتى أجد مريم، حرمتموني منها طوال تلك السنين، قتلتوا ذلك الحلم البسيط الذي استخسرتموه فيني، حتى إنني لم أهنأ بأولادي، ما أجمل الزمن عندما يعود بك ليوقفك عند تلك الحافة، حافة النهاية التي توقف بها عند الزمن!

في هذه الأثناء أخرج صقر من المكان الذي يحفر به، قطعة مربعة سوداء وراح يزيح التراب عنها، من الذي دفنها بهذا المكان؟ وما أدرى صقر بوجودها؟

على ما يبدو، أنها مغطاة بكيس من النايلون الأسود بإحكام شديد، ثم راح يمزق ذلك النايلون عنها محاولا كشف ما بداخلها.

هنا سمعنا صوت العم عرفة، وهو يتأوه من الألم واضعا يده على رأسه ويقول:

- هذا المجنون ضربني على رأسي.

لم أكترث لما يقول العم عرفة، بل رحت أنظر لما بين يدي صقر، ما هذه القطعة المدفونة التي يعرف مكانها صقر وأخرجها الآن؟!

وبينما أنا أنظر سمعت صوت عمي يقول:

- بدرية.. بدرية.

التفت ناحية الباب لأجدها تقف عنده وهي تنظر لنا جميعنا بدهشة كبيرة..

انتبه صقر لها، ثم أبعد ذلك الشيء عن يديه، ليقف وينفض ذلك التراب عنه، ويتقدم ناحية بدرية.. قائلا:

- الآن اكتمل العدد، وصلت عرابة الغرور..

لم تتفوه بدرية بأي كلمة، وكانت تنظر لزوجي متعجبة من حديثه!

بينما أكمل صقر كلامه:

- تذكرين تلك الليلة عندما طلبتي مقابلتي، تذكرين ذلك المبلغ الذي قدمتيه لي من أجل تطليق مريم، يا لك من امرأة ماكرة ولعينة.

بدأت ملاح وجه بدرية بالتغير.. وقالت بارتباك وتردد:

- من أنت، كيف عرفت هذه الأسرار؟

رد صقر بكل ثقة:

- أنا شقيقك «أبو جاسم».

نظرت له بذهول وهي تكمل حديثها بارتباك وخوف:

- أبو جاسم مات منذ 26 عاما.

ابتسم صقر بسخرية وراح يقول بثقة كبيرة:

- نعم هو مات بعقولكم، لكنه الآن يعيش بهذا العقل، هو يضع يده على رأسه.. مكملا:

اليوم كل الأمور ستعود إلى نصابها.

وتابع حديثه قائلا:

- ليتني سمعت كلامك يا بدرية، وبالتحديد تلك الجملة التي كنت دائما تقولينها لي، عندما تكون جريئا غير مبال للآخرين تجد الحياة بين قدميك، لكنني كنت «أبله»، وأظن أن الحياة مليئة بالطيبين أمثالي، واكتشفت بعدها أن الزمن الذي أعيشه ليس بزمان المغفلين، بل هو زمان من على شاكلتك.

هنا مرة أخرى راحت الإضاءة تومئ وتنطفئ بشكل متكرر، لا أعلم ما الذي يحدث!

عاد صقر لذلك المكان ليكمل عملية إزالة غطاء النايلون الذي يغطي ذلك الجسم وأخرجه من الحفرة، ليتبين لنا أن ما أخرجه هو عبارة عن، آلة تشغيل كاسيت تعود لحقبة الثمانينيات "مسجل"، وعلى ما يبدو أنها كانت بحالة جيدة رغم دفنها بهذا المكان طوال هذه السنين، بدأ صقر ينفخ عليها محاولا إزالة بعض الرمل العالق، ثم بعد ذلك فتح الغطاء الصغير المخصص لـ"الكاسيت"، ليزيد الموقف أكثر غرابة، ويخرج "شريط كاسيت" منه، ويرفعه عاليا قائلا:

- الآن ستعرفون الحقيقة كاملة.

أصبح جميعنا ينظر لبعضه بعضا وعلامات التعجب والحيرة تملأ وجوهنا لما يحدث، شبك صقر آلة التسجيل بمفتاح الكهرباء القريب، ثم ضغط على زر التشغيل لتبدأ هذه الآلة دورانها، لنسمع تلك الأصوات التي عادة ما تحدث في بداية تشغيل أي شريط بمثل نوعه، أصوات هواء، أو أصوات جانبية، أو وشوشة.

ثم خرج ذلك الصوت غير المألوف لي أنا بالذات، حزينا كئيبا، من بين تلك الآلة قائلا:

- في حال سماعكم لهذا التسجيل، فأنتم بالتأكيد قد عرفتم نصف الحقيقة، لكن هناك أمورا تودون معرفتها، أين اختفى الجميع؟ ما الذي حدث ؟

قبل هذا كله، أود أن أقول أمرا مهما لكم جميعا، هذه الحياة تأخذ أكثر مما تعطيك، وإذا أعطت فلا تأمنها، لربما تأخذ منك ما هو أغلى، ما الفائدة من العيش على هذه الأرض وقلوب من نحب أصبحت تحت التراب.

أعتقد الآن هناك من يعرف صوتي جيدا ويعرف اسمي، ويذكر ملامح وجهي، وأعتقد أيضا أن هناك منكم من لا يعرفني أبدا.

اسمي صقر.. أبو جاسم كما ينادونني بهذا المبنى، دائما أبحث عن الهدوء، وأتجنب التعقيد، لا أريد شيئا من هذه الحياة، سوى قلوب أحبتني ووضعت كل ثقتها بي، على الرغم من الحالة المادية الجيدة التي تتمتع بها عائلتي، إلا أنني رفضت هذا كله، ما الفائدة من المال مدام هناك بشر تود السيطرة على حياتك، تود تحطيمك وتعتبرك كالطفل، يظنونك أحمق لا يتدبر أمره، قليل الحيلة، وهم الوحيدون الذين يستطيعون تخطيط حياتك.

هجرتهم كلهم بعد اختياري طريقي، أعتقد منكم الآن من عرفني، ما صفاتي، يعرف جيدا عفويتي، يعرف جيدا ما يحمله قلبي من صفاء نية للجميع، وهذا الأمر هو ما جعلني الآن أسجل هذا الشريط بهذه الغرفة الأخيرة من شقة رقم 2 بعمارة حولي.

هنا انتبهت لعيني عمي أبو صقر التي راحت تتساقط منها الدموع بغزارة، بينما كانت بدرية جامدة تسمع، وهناك بعض الذعر والخوف الذي لا يزال يسيطر على ملامحها.

فيما كان الدكتور علي طلال هادئا يستمع بتركيز عال للتسجيل.

أكمل الشريط دورانه بحديث صقر "أبو جاسم" وهو يقول:

- ربما بعد قليل ستكون النهاية بعد الانتهاء من هذا التسجيل، وقبل ذلك أود أن أكشف لكم بعض الأمور التي لابد لكم جميعا أن تعرفوها.

قبل هذه الليلة وبالتحديد 27/7/1990، زارتني بدرية، تلك الأخت الشقيقة التي لا تعرف شيئا عن الحب سوى اسمه، وهي تطلب مني مقابلتها في عيادتها الخاصة، وما أجبرني على الذهاب، والدتي بعد أن أخبرتني بدرية بوجودها هناك، لأنني أعرف جيدا أسطوانة شقيقتي المعتادة: "إنهاء كل شيء يربطني بزوجتي مريم ووضع حد لهذا الزواج غير المكتافئ".

وعند وصولي لم أجد والداتي في انتظاري كما قالت لي تلك المخادعة.

وتحججت بدرية في البداية بالتأخير وربما هي على وصول، لتقوم بعدها بالحديث عن حياتي وارتباطي.

وراحت بدرية تطلب مني كما هو المعتاد أن أنهي علاقتي بزوجتي مريم، بالمقابل تأمين حياة كريمة لولديَّ جاسم وفهد ، بشرط تطليق مريم، لأنها كما تقول جملتها "مو من ثوبنا" و"شراح تقول الناس".

رفضت تنفيذ كل ما قالته، وهددتها بأنها لو كررت هذا الحديث سأترك العيادة وأرحل.

وهو ما أغاظها كثيرا، وراحت تقذفني بأبشع الكمات وتشتمني وتهددني بتدمير حياتي بطريقة ما, لم أهتم كثيرا لما تقول، بعدها صمتُّ وهي تنظر لعيني بصرامة كبيرة، كلما وقعت عيني عليها أجدها تنظر لي بتركيز عال، وكل ما أتذكر دخول أحد الذين يعملون معها الغرفة!

هنا توقف الزمن فجأة، وكل ما أذكره، هو جلوسي على ذلك الكرسي الجلدي الأسود احتسي كوب الشاي، ودخول ذلك الموظف الذي وقف عند بدرية دون أن يتفوه بأي كلمة، منتظرا وصول والدتي، لكنني لم أفق من هذا كله، إلا وأنا جالس بشقة حولي.

هنا توقف عن الحديث لدقائق، وشعرنا أن صقر "أبو جاسم" يبكي، ثم أكمل حديثه بصوت مبحوح باكياً قائلا:

- لا أدري كيف فعلتها، لا أدري كيف فعلتها!!

كأنني كنت مغيبا، ولم أستفق إلا وذلك المسدس الذهبي بيدي، وزوجتي مريم وولداي ممددون أمامي وملطخون بالدماء، هل أنا بكامل قواي العقلية، ثم راح يبكي بصوت مرتفع!

هذا كل ما أذكره، كيف فعلت ذلك! ومتى ولماذا؟كل هذه الأمور ليس لها أي تفسير، تلك الليلة قضيتها بين دموعي ودماء عائلتي.

لا أدري كيف أتصرف، هل أسلم نفسي للشرطة وأقول أنا القاتل، هل أهرب، لا أعلم إلى أين أهرب، الحياة أصبحت بعيني بلا معنى بعدهم، ناهيك عن الفضيحة الكبيرة التي ستحصل.

وبقيت أكثر من ساعة أفكر وأفكر، إلى أن توصلت إلى هذا الحل، الحل الذي لا يستخدمه الا اليائسون وقليلي الحيلة مثلي ألا هو "الانتحار".

لم أجد أي حل آخر يخرجني من هذا كله.. لكن قبل ذلك لا بد من دفن جثث عائلتي، وتوديعهم بشكل لائق، فقمت بدفنهم في الغرفة الكبيرة بعد أن أزحت البلاط بعناية، ومن ثم قمت بتكفينهم بشكل جيد، وحفرت بعمق كبير حتى لا تظهر الرائحة فيما بعد، كنت دقيقا بعملي، بسبب خبرتي في هذا المجال، كوني كنت أعمل في البلدية بقسم المقابر، ونظرا لاحتكاكي بحفاري القبور كوني كنت مسؤولهم، يال سخرية القدر كنت دائما أقول لماذا أعمل بهذه الوظيفة التي لا تمت لشخصيتي بصلة، واليوم عرفت السبب, وقمت بدفنهم، بعد أن قمت بإعادة مكعبات البلاط مرة أخرى لمكانها ومن ثم فرشت عليها سجادة، وودعتهم بحزن، لن تعرفوا هذا الشعور أبدا الشعور الذي يجعلك تتمنى أنك لم تكن من الأساس، وتذكرت تلك المقولة، عندما تضحك يضحك الناس معك جميعا وعندما تبكي تبكي وحدك، وها أنا أبكي وحيدا، لم أجد من يواسيني بمصيبتي سوى الصمت، الصمت الذي بات يطبطب علي. الآن وبعد انتهائي من هذا كله لابد من اللحاق بهم، وها هو الصباح يدخل كئيبا حزينا كما أتصوره، اعددت العدة بشكل كامل، الآن لا يوجد شيء يستحق الانتظار بعد رحيل من كانوا يسكنون بالقلب، لكن قبل هذا فكرت كثيرا، ماذا لو انتحرت من الممكن أن أترك الحقائق غائبة، دون توضيح، فجاءت لي فكرة التسجيل ودفن "المسجلة" مع عائلتي حتى لو اكتشفت الشرطة مكانها ستكون هناك أمور واضحة.

أعرف جيدا أن الحل هو أشبه بالصندوق الأسود الذي بالطائرة، والذي يسجل آخر لحظات الحياة لتلك الطائرة المنكوبة، وأنا الآن أعيش بنفس هذه اللحظات، منكوبا بعد أن قتلت كل أفراد عائلتي.

كل شكوكي تدور على بدرية!

ماذا فعلت بي هذه الماكرة ؟

ماذا وضعت في كوب الشاي، الذي كان آخر مشهد كنت أتذكره بعيادتها ؟

وبعدها أفقت على ذلك المنظر، هناك سرّ حتى الآن لم أعرفه، أعطيتكم كل الخيوط التي من الممكن أن تصلوا بعدها لسبب قيامي بهذا الأمر، تمنيت أن أكون بحال أفضل مما أنا فيه حتى أقتل تلك اللعينة، لكن لا يوجد متسع من الوقت، والآن أنا راحل.

وبعدها، صمت أبو جاسم قليلا، لكن صوت بكائه ونحيبه هو الذي ظل حتى توقف التسجيل بشكل نهائي.

جلست أنا على أرضية الغرفة، غير مصدقة ما يحدث، وعيني تنظر لبدرية بغضب، فيما كان زوجي صقر صامتا ينظر بجمود لها أيضا.

في تلك اللحظة، قام عمي والد زوجي ناحية بدرية، ليقوم بشدها من شعرها، ويقول:

- الآن فهمت، الآن الحكاية اكتملت أركانها، أنت المحرض الرئيسي والسبب وراء قتل صقر لعائلته.

أعتقد أن كلام عمي فيه شيء من الواقعية، لكن كيف فعلت هذا، هل وضعت سحرا داخل كوب الشاي، لا أعرف أي نوع من السحر يقوم بالتحكم بالبشر ويأمرهم بالقتل!

ثم دفع والد زوجي بدرية بقوة التي وقعت على الأرض.

هنا قام عمي "والد زوجي" بوضع رأسه على يده وقال بغضب كبير:

- أعرف جيدا أنك امرأة حاقدة، حسودة، مغرورة وحقيرة، لكن لم أتصور يوما أنك ستقومين بهذا الفعل الشنيع، وأعرف جيدا أنك أنانية كبيرة، لا تفكرين سوى بنفسك، لكن لم أتصور أن أنانيتك ستقودك لهذا!

لا.. لا.. من غير المعقول ما قمت به!

هنا قاطعت عمي بحديثي، وقلت:

- يكفي يا عمي قل الحقيقة، الأمور لم تعد تحتمل أكثر من ذلك.

هنا انكمشت بدرية جالسة بزاوية الغرفة، وهي مذعورة، تنظر لنا بتوجس.

كان عمي وقتها يكفكف دموعه، يتحرك بحسرة وألم ثم قال:

- جميعنا يعيش في حالة غيبوبة لا يستفيق منها إلا وقت الألم، قبل يومين من مقتل صقر «أبو جاسم»، جاءتني بدرية في ساعة متأخرة، كنت للتو عائدا من المستشفى مع أم صقر، كونها كانت تشعر ببعض آلام الولادة، لكن الأطباء أكدوا أن الأمور تحتاج لمزيد من الوقت, وكل هذه الآلام مجرد مقدمات، طلبت منها انتظاري في بهو العمارة، وبعدها نزلت كانت بدرية غاضبة جدا، وقبل وصولي، أخرجت ذلك المسدس الذهبي الذي تحدث عنه صقر من حقيبتها وقالت لي بحزم:

- سأعطيك كل ما تريد لو قتلت مريم!

وقتها لم أناقشها أبدا، وقلت لها إن ما تطلبه أمرا مستحيلا، فأنا لا أريد تدمير حياتي.

وكعادتها راحت تشتم وتسب، ثم قالت لي، وهو الأمر الذي لم أخبرك به يا داليا عندما حكيت لك القصة ليلة البارحة، عندما قمت بتغيير بعض أحداثها، كوني لا أريد أن تتغير صورتك ناحيتي.

ثم أكمل الحكاية:

- قالت لي هذه اللعينة بتلك الليلة إن كل ما أريده منك هو كتابة رسالة بخط يدك، كرسالة إلى شقيقي تخبره بأن زوجته تخونه، وأنك لا تريد أن تواجهه وفضلت كتابة الرسالة منعا للإحراج.

في بداية الأمر ترددت كثيرا، لكنها أكدت لي أنها لن تخبر أحدا، ولن يتضرر أحد بهذا، سوى أن أبو جاسم سيطلق مريم، وينتهي كل شيء.

بعدها أخرجت ذلك الشيك، وقالت:

- اكتب المبلغ الذي تريده.

لم تعطني فرصة أبدا، وضعت الشيك في جيبي، وقالت أمامك ساعة لاتخاذ القرار، أنا أنتظرك في السيارة، اكتب الرسالة وبعدها سينتهي كل شيء.

دخلت شقتي، وأنا أقلب الموضوع برأسي، ثم كتبت تلك الرسالة بيد مرتجفة خائنة، وعدت لها، قالت لي وهي تبتسم:

- اكتب الرقم الذي تراه مناسبا لك في الشيك.

ثم رحلت..

لا أدري كيف فعلت ذلك! هل هو حبي للمال الذي دفعني لذلك، أم أن حبي لبدرية هو ما دفعني لتنفيذ طلبها.

بعدها بيومين, وبالتحديد قبل اكتشاف مقتل صقر، زرت بدرية في عيادتها، في البداية طلبت مني الموظفة التي تعمل هناك الانتظار كون بدرية مشغولة بجلسة مع أحد مراجعيها، انتظرت لمدة ساعة كاملة، وبعد أن دخلت عليها كانت جالسة على الكرسي بوجه مسرور، وهي تقول:

- أنا أعمل بتخصص نادر وصعب.

ثم سألتني بطريقتها المتعجرفة:

- هل جربت أن خاطبت عقلك الباطن في يوم الأيام، أنا مستعدة لأجعلك تتحدث بكل ما تخفيه في رأسك, برمشة عين.

قاطعتها بعصبية، قائلا:

-لا أكترث لهذا كله، أخبريني هل أوصلت الرسالة لأخيك، الرجل غائب منذ مدة.

ابتسمت بخبث.. وقالت:

- رسالتك لم استفد منها بأي شيء، أعتقد أنك الرابح الوحيد في هذه الصفقة.

ثم حولت محور الحديث، وقالت بشكل مفاجئ:

- قبل أن أنسى.. مبروك على المولود الجديد.

هذا كل ما حدث معها، الى موعد اكتشاف انتحار أبوجاسم، أنا لا أفهم بهذه الأمور، كون بدرية تعمل بمجال كان وقتها غريبا نوعا ما، وجديدا على مجتمعنا، لا أذكر التخصص بالضبط، لكن كل ما فهمته أنها مختصة بالطب النفسي، وتستطيع من خلاله التحكم بالإنسان.

هنا قاطعنا الطبيب علي طلال متحمسا:

- هل تقصد أن بدرية، نومت أخياها مغناطيسيا ؟!

هنا التفتنا جميعا نحو بدرية..

كانت تبكي بصمت، وواضح الانكسار عليها ثم قالت:

- الماضي لا ينسى أبدا، هي الحقيقة التي كنتم تبحثون عنها، بالفعل أنا وراء هذا كله، لا مجال لإخفاء الحقيقة، فكل الدلائل ضدي.

بعد زيارة أخي للعيادة، وبمحاولة أخيرة لإقناعه بتطليق زوجته، إلا أنه رفض، طلبت من أحد الموظفين الذين يعملون عندي إلهاء صقر "أبو جاسم"

بالحديث، بينما أنا رحت أجهز نفسي من أجل تنفيذ الخطة التي أعددتها مسبقا، ورحت بعدها بتنويمه مغناطيسيا، كنت ماهرة بهذا العمل بشكل مختلف عن الباقين، بسبب دراستي في الولايات المتحدة الأميركية بهذا المجال.

أشرف علي عدد من الأطباء المميزين بهذا التخصص، حتى أتقنت جميع أدواته بل وتفوقت، لدرجة أنني أستطيع التحكم بأي شخصي من خلال عقله، والطلب منه تنفيذ بعض الأوامر الخاصة، لكن لابد من أن تكون هناك محفزات واضحة للعقل الباطن للشخص المنوم، واستندت بذلك على الرسالة التي كتبها سليمان، وقمت بعدها بتلقين العقل الباطن لمخ أبو جاسم، بتلك المعلومات، أي أنني أطلعته على الرسالة التي تؤكد أن زوجته مريم تخونه، وأن أولاده الذين يعيشون معه ليس من صلبه، كلهم أبناء سفاح، ناهيك عن بعض الأمور الأخرى التي رحت أشحن فيها عقله، وهو الأمر الذي أثر بشكل كبير على عقل أخي، وبعدها طلبت منه أن يغسل عاره، بسبب الخيانة بقتل زوجته.

نعم، راح شقيقي ينفذ كل ما طلبته منه بسبب تحكمي بعقله الباطن، واستطعت أن أضرب عصفورين بحجر واحد، قتل زوجته والتخلص منها، وإبعاد شقيقي، كونه كان دائما ما يجلب العار للعائلة بسبب تصرفاته التي لا تنم عن أنه من عائلة محترمة وغنية ولها مكانتها في المجتمع، لكنني لم أتوقع أن ينتهي هذا الأمر بمقتله.

لا أنكر أنني بعد سماعي خبر وفاته، شعرت بالخوف الكثير، لكن بذلك الوقت لم تكن هناك أي دلائل ترتبط بالتنويم المغناطيسي، وربما هو حادث عارض، والأمر الذي ساعدني كثيرا، هي الشكوك التي أحاطت بزوجته مريم، بعد اختفائها هي وأولادها، ناهيك عن حدوث الغزو الذي أدخلنا في دوامة كبيرة، وتوقف البحث والتحري عن القضية بعد تحرير البلاد، بطلب مني شخصيا، إلا في حال حدوث طارئ.

ثم توقفت بعدها بدرية عن الكلام، وراحت تبكي كثيرا، بينما نحن جميعا بقينا صامتين مندهشين من هذه النهاية غير المتوقعة.

قال الدكتور علي طلال، بغرابة:

- أنت تعديت كل الأعراف الخاصة بالتنويم المغناطيسي بسبب حرية تحكمك بعقل أخيك، فمعلوماتي البسيطة عن هذا المجال أن هناك طقوسا يستعملها الطبيب أو المختص بهذا المجال من أجل تنويم أي شخص، وهناك بعض الصعوبات التي تواجه الطبيب في التحكم بعقله الباطن، أعتقد أنك كنتي بارعة بهذا المجال، أظن أن انتقال ذاكرة أخيك حدثت بطريقة ما في يوم

ولادة صقر زوج داليا، ويبدو أن هناك شيئا امتصها وبقت بعقله الباطن، حتى جاء المحفز الذي أيقظها ليلة سقوطه بالحمام على رأسه، ومن ثم دخوله بحالة غيبوبة، وعلى ما يبدو أنها لم تستيقظ بشكل كامل، وأن هذا الأمر أدى لذلك الصراع العقلي بداخل رأس صقر، ظاهر بغاية الغرابة، وهذه المرة الأولى بحياتي التي تمر علي بهذا الشكل.. تقمص مذهل.

هنا انتبهنا إلى زوجي صقر الذي راح يحفر مرة أخرى بكل قوته، ليخرج بعض قطع الخام البالية، عرفنا أنه يريد إخراج الجثث المدفونة بالمكان.

طلب والد زوجي من ابنه التوقف، لكن صقر رفض وراح يصرخ، لابد لهذه الحقيرة أن تأخذ جزاءها، لابد أن أكشف كل الدلائل الجازمة، هي المجرمة الوحيدة، لابد أن ينتهي هذا الأمر، لابد أن ترتاح تلك الأرواح المتعبة التي تنتظر منذ 26 عاما.

هنا انطفأت الأنوار فجأة، وعم الصمت مجددا، ليسقط بعدها صقر على الأرض، ويغمى عليه، فنقلناه إلى المستشفى وتأكدنا أن صقر دخل في غيبوبة يبدو أن هذه المرة ستكون طويلة، انا الآن أكتب لك هذه القصة من داخل المستشفى، هو الآن ممدد أمامي على ذلك السرير منذ أكثر من ستة أشهر.

قبل أن أختم قصتي معك، فقد تم القبض على بدرية، وإيداعها السجن، كونها المحرض الرئيسي لما حدث كله، بعد أن قام والد زوجي بالتبليغ عن مكان الجثث، الأمر الذي فتح القضية مرة أخرى، أعتقد أنك تعرف ما حدث، فكل الدلائل ضد بدرية.

هل تعلم يا صديقي صاحب القلب الكبير، أنا الآن أعيش بدوامة كبيرة من التفكير والخوف والقلق، وكلما أذكر تلك الأحداث التي حصلت، أقول بنفسي هل من المعقول أن يحدث هذا، أقرص يدي، أتمنى أن يكون حلما، لكنه للأسف حقيقة دامغة حصلت.

أمنيتي الأخيرة يا صديقي ألا يفيق زوجي من غيبوبته مرة أخرى، خوفا من أن يعود هذه المرة وهو يجلب معه ذكريات شخص آخر، كان قد عاش مصيبة في الماضي، وزوجي الآن يريد حلها، يبدو أن صقر عندما يصاب بغيبوبته يدخل عالما مختلفا بتاتا عن الذي نعيشه، وربما يلتقط تلك الأفكار والذكريات من عقول الذين كانوا بؤساء في الماضي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الخاتمة

انتظر قليلا، انتبه لعقلك جيدا، الحياة هي ذلك السرير الكبير الذي نتمدد عليه، ونحن نعيش في حالة غيبوبة كبرى، ولا نستفيق منها إلا وقت الموت، لربما من الممكن أن تتغافل عن دماغك دقيقة، هنا تنقض عليها تلك الأفكار البائسة وتسيطر عليها.

انتبه مرة أخرى.. لا تهتم لما يقوله الآخرون، وابقَ مثلما أنت، فهم يريدونك مثلما يتمنون، وأنت تريد نفسك التي سُلبت منك، بسبب أفعالهم.

عش غيبوبتك.. بسلام

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..
إهداء
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
الخاتمة
الفهرس..